الفينيقيون في ليبيا

من ١١٠٠ ق.م حتى القرن الثاني الميلادي

الطالب

فيصل علي أسعد الجرابي

اللجنة المشرفة

		التوقيع
د. محمد الجراري	مشرفاً	( )
د. رجب الاثرم	عضواً	( )
د. إبراهيم القواسمي	عضواً	( )

يعتمد

أمين الدراسات العليا ( )

نوقشت الرسالة يوم الثلاثاء الموافق ٣٠/٦/١٩٨٩م

" الفهـــــــــرس "

الصفحـة

الصفحة

الفصل الثالث

تأسيس المدن الفينيقية في اقليم طرابلس

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية في اقليم طرابلس في العصر الفينيقي

الفصل الخامس

الصفحة

الحياة السياسية في اقليم طرابلس في العصر الفينيقي

الفصل السادس

الحياة الاقتصادية في مدن اقليم طرابلس الفينيقية

الصفحة

الفصل السابع

الفينيقيون في العصر الروماني

فهرس الخرائط والصور

أولا : الخرائط

ثانيا : الصـــــــــور

(١) الضريح البونيقي بمدينة صبراتـــــه . — — — نقلا عن عيسى ، محمد علـــــى ، مدينة صبراته ، ص٢٨

(٢) الالهــة تانيـــــت . — — — نقلا عن الناضورى ، رشيد المغــرب الكبير ، الجزء الاول ، ص٤١

مقدمـــة الرسالـــــة

استهل حديثي حول هذا الموضوع بهذا التساؤل ، لماذا وقع اختياري على هذا الموضـوع ؟ ، "الفينيقيـون في ليبيـا " ان هذا الموضوع يمثـل جانبـا مجهولا في تاريخ ليبيـا وماكتـب عنه حـتى الان لـم يزد عن النتـف القليلـــة وحـتى ماكتـب وما جمـع حول الموضوع لم يكـتب ليكون موضوعـا مستقلا كمافعــــل (مريغـي) مثلا في كتابـه " تاريـخ القطـر الطرابلـسي " وكمافعـــل رومانلي فـي كتاباتـه المختلفـة ، فغرض هـؤلاء لم يكـن كتابـه تاريـخ ليبيـا وبشكـل ادق تاريـخ اقليم طرابلـس في العصـر الفينيقـي انما جاءت كتاباتهـم كمقدمـــات للعصـر الرومانـي في ليبيـا ولذلك كانت بالرغـم من دقتها ناقصة لاتفي بالغرض المطلوب وهو اعطـاء صورة شاملـة وكاملة عن العصر الفينيقي في اقليم طرابلس.

وانا لا انكر ان ماتوفر من معلومـات عن هذه الفـترة هو اقل مـن القليــل ولذلك كانت مهمـة كتابـة تاريـخ هذه الفـترة مهمـة عسيرة .

أما المنهج العام الذى سلكته في كتابه هذه الرسالـة فيعتمد علــــى الاستنتــاج والمقارنـة وبالاضافـة الى المعلومـات القليلـة التي تركهـا لنـا الكتاب الكلاسيكيـون ، هـذا بالاضافـة الى دراسـات المحدثين والتي لاانكــر انها قدمـت الكثير من الاراء القيمـة وحققـت الكثير من اراء الاقدمـين وانارت لي السبيـل وهي اراء علمـاء الاثـار في معظمهـا .

أما المقارنـة فكانـت مع مدينة قرطاجـة الفينيقيـة اكبر المدن التي بناهـا الفينيقيـون على الساحـل الافريقـي ، ورغم اختلاف ظروف قرطاجة عن ظروف مـدن طرابلس الفينيقيـة الا اني عمـدت الى المقارنـة في كثير من الاحـوال بين الطرفين خاصة وأن قرطاجـة كانت لها الزعامـة والهيمنـة السياسيـة والاقتصاديـــة

وما استتبع ذلك من تأثيرات في النواحي الاخرى مثل اللغة والعادات الاجتماعية والحياة الدينية وبشكل خاص منذ النفوذ القرطاجي .

أما العنصر الثاني الذى اعتمدت عليه في منهج كتابه هذه الرسالة فهو المقارنة بين احوال مدن طرابلس خلال فترة الحكم الروماني وبين احوال هذه المدن خلال العصر الفينيقي القرطاجي ، فعندما اصطدمت قرطاجة مع روما آل امرها الى السقوط وبالتالي سقوط المدن الفينيقية التي كانت تعيش تحت ظلها السياسي والاقتصادي فحل بها ماحل بقرطاجة وفقدت استقلالها السياسي ولكنها لم تفقد شخصيتها الثقافية من لغة وديانة وعادات اجتماعية بل اصبحت من الناحية السياسية تتبع روما وعليه نستطيع أن نقول ان مالدينا من معلومات تخص هذه المدن في بداية العصر الروماني يمكن ان تنطبق على الفترة السابقة وهي الفترة الفينيقية ورغم وجود فاصل زمني بين العصر القرطاجي والعصر الروماني الى ان الصورة العامة للمدن لم تتغير بل ان الشكل الخارجي والاطار السياسي هو الذى تغير فقط .

وبهذا يمكن الاعتماد على ماكتب في العصر الروماني عن هذه المدن بعد التدقيق للوصول الى صورة قريبة من الواقع ما امكن ذلك .

وتعمدت اطلاق عنوان " الكنعانيون في ليبيا " على الرسالة دون عنوان المدن الكنعانية ذلك لان ماعثر عليه من المدن الكنعانية في مدن اقليم طرابلس لايزال قليلا وهناك الكثير من المدن التي لازلنا نجهل مكان وجودها تماما والبعض الاخر لم نعثر على مكانه حتى الان ، ونحن لم نزل في انتظار مايقدمه لنا علم الاثار من جديد في هذا المجال .

ولقد رأيت انه من الانسب ان يكون عنوان الرسالة "الكنعانيون في ليبيا " لا " الفينيقيون في ليبيا " فأسم الكنعانيون قد اطلقه هؤلاء القوم على انفسهم وعلى بلادهم الاصلية وهو اسم قديم وبالرغم من شيوع استعمال الاسم الثاني وهو الفينيقيون الا انه اسم دخيل اطلقه الاغريق عليهم واعتقد ان الاسم الصحيح هو الكنعانيون الا انى قد سجلت عنوان هذه الرسالة باسم الفينيقيين نظرا لشيوع اسم الفينيقيين اكثر من الاسم الاول "الكنعانيون".

ولقد حدث ان سأل القديس اغسطين ـ وهو من ابناء شمال افريقيا وينحدر من اصول فينيقية ـ مجموعة من الفلاحين في اقليم طرابلس عن اصلهم فأجابوه بأنهم كنعانيون (شنّائيون حسب النطق الكنعاني) وعلى ذلك فأنه من الانسب ان نطلق على هذا الشعب الاسم الذى اطلقه على نفسه أي " كنعانيون " .

هذا وننتقل للحديث عن فصول هذه الرسالة فصلا بعد آخر الفصل الاول وهو تاريخ الفينيقيين في المشرق استعرض من خلاله تطور تاريخهم منذ خروجهم من السواحل الخليج العربي ـ كما يشير الى ذلك الكلاسيكيون حتى وصولهم الى سواحل بلاد الشام والغرض الاساسي من كتابة هذا الفصل هو ربط تاريخ الفينيقيين في المشرق مع تاريخهم في المغرب واعتقد بأن تاريخ الفينيقيين في شمال افريقيا يمثل حلقة ثانية من تاريخ الفينيقيين العام ، والفصل في جملته هو عرض للخطوط الرئيسية لتاريخ هذا الشعب دون التطرق للتفاصيل ، فدراسة تاريخ الفينيقيين بشكل مفصل ليس من اهداف هذه الرسالة انما الهدف الذى كتب من اجله هذا الفصل هو جعله مدخلا ومقدمه تساعد القارئ على الدخول في الموضوع الاساسي والتمهيد له .

يبرز الفصل الاول جوانب معينة اكثر من غيرها لاتصالها بالموضوع فعلى سبيل المثال تطرقت لنشاطهم البحرى واسهبت فيه الى حد ما لاعتقادى انه كان أحد الدوافع التى أدت بهذا الشعب الصغير الى التوجه الى شمال افريقيا واقامة تلك المرافئ الصغيرة فى بداية الامر لتكون ملجأ عند الشدائد وانتهى بها الامر الى أن تطورت الى مراكز تجارية ومدن كبيرة فكانت تؤدى الغرضين معا ، ومع مرور الزمن اتسعت هذه المدن حتى فاقت فى اتساعها المدن المؤسسة لها فأستقلت عنها وكونت بمايعرف بمدن شمال افريقيا الفينيقية .

أما الفصل الثانى وهو " طرابلس قبل وصول الفينيقيين" فيعالج احوال اقليم طرابلس الجغرافية والسكانية من النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية منذ بداية العصور الحجرية حتى وصول الفينيقيين وهو فى جملته لايمثل تاريخا مفصلا لهذه المنطقة قبل الفينيقيين وانما اردت به كسابقه الفصل الاول عرضا للخطوط الرئيسية لتاريخ المنطقة قبل وصول الفينيقيين حتى اذا ما بدأنا فى التحدث عن الموضوع الاساسى كانت لدينا تصورات صادقة الى حد ما للسكان الاصليين ونمط حياتهم وظروف معيشتهم وللقادمين الجدد اى الفينيقيين وبذلك اكون قد وضعت اساس الموضوع الذى تحدثت عنه بعد ذلك .

ويدخلنا الفصل الثالث فى صميم الموضوع الا وهو الظروف التى دفعت الفينيقيين الى تأسيس مدنهم ثم ماكتبه الكلاسيكيون عن هذه المدن وماقيل حول تسميات هذه المدن واتساعها حتى وصلت الى مدن مستقلة ، وكان من البديهى ضرورة شمل مدينة قرطاجة بالحديث رغم انها ليست ضمن اقليم طرابلس بأعتبارها اكبر مدن الفينيقية فى الشمال الافريقى وأقدمها وكانت لها التأثير الكبير على مدن اقليم طرابلس الفينيقية فترة ليست بالقصيرة كماسبق ان اسلفت .

أما الفصول الثلاثة التالية فأنها وصف للحياة الاجتماعية والحياة السياسية والحياة الاقتصادية من جانب معين من جوانبها ولقد وجدت صعوبة في فصل موضع هذه الفصول الثلاثة بعضها عن البعض نظرا لتداخل موضوعاتها ، فالحياة السياسية اثرت في الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية وتأثرت بالعاملين السابقين ولكن تقسيم الموضوع الى هذه الفصول الثلاثة كانت ضرورة املتها اصول البحث العلمي .

أما الفصل الرابع وهو الحياة الاجتماعية فيتطرق الى جملة الاحوال والعوامل التي ربما لاتزال اثارها باقية حتى اليوم ، فالسكان الذين اقاموا في قرطاجة واقليم طرابلس هم في معظمهم اجداد السكان الحاليين واللغة سواء كانت الفينيقية او الليبية القديمة بقيت اثارها حتى اليوم وربما هي التي اضفت الطابع الخاص على اللهجة العربية المستعملة في هذا الاقليم والديانة القديمة لهذه المدن ونقلت بعض مظاهرها الى المسيحية والاسلام وكان الهلال احد رموز الديانة الفينيقية فأصبح احد الشعارات التي يرمز بها الى الاسلام ، وهناك غيرها من العادات والتقاليد التي كانت منتشرة بين السكان ومازالت اثارها باقية حتى الان ، بل منها عادات الدفن والملابس وطريقة اعداد الطعام وهناك الكثير من الجوانب الاخرى من عادات اولئك السكان التي نجهلها حتى الان وننتظر اليوم الذي سيساعدنا فيه علم الاثار في الكشف عنها .

وعندما جاء العصر الروماني سعى الى طمس كثير من ملامح المدن الفينيقية ولكن اثره الثقافي كان ضعيفا فالحكم الروماني كان في جوهره حكما سياسيا ولم يتمكن من التغلغل في عادات السكان ولغتهم الا بشكل طفيف ، فاللغة الفينيقية ظلت مستعملة حتى القرن الثالث الميلادي تقريبا رغم استعمال اللغة اللاتينية بجانبها وبالاضافة الى ذلك فان الاثر الروماني لم يتعد الطبقات الارستقراطية في المدن الكبرى .

ويتطرق الفصل الخامس في هذه الرسالة الى الحياة السياسية لتلك المدن واولها علاقة قرطاجة بها وغني عن البيان ان علاقة قرطاجة السياسية بمدن اقليم طرابلس كانت تمليها ضرورات اقتصادية التي بينتها في الفصلين السياسي والاقتصادي معا ٠

ويتناول الفصل الخامس فضلا عن ذلك العلاقات الداخلية التي ربطت هذه المدن بعضها ببعض ويشير الى انظمة الحكم الداخلية للمدن بشكل عام ٠ ولا يغيب عن الذهن ان هذه النظم كانت مقتبسة من نظم المدن الفينيقية في المشرق بما في ذلك نظام قرطاجة السياسي ويأتي الحديث بعد ذلك الى العلاقات السياسية التي قامت بين الاغريق ومدنهم الخمس في الشرق وبين مدن اقليم طرابلس الفينيقية في الغرب وكانت علاقات خطيرة وهامة بالنسبة للطرفين المتجاورين والتي ادى توترها الى نشوب اكبر حروب بينهما ٠

أما الفصل السادس خاص بالحياة الاقتصادية فيبدأ بالحديث عن علاقة مدن اقليم طرابلس الفينيقية بمدينة قرطاجة وكانت في الحقيقة علاقة قوى بضعيف فضلا عن انها كانت سيطرة سياسية شديدة الوطأة ، أما الاقتصاد ذاته فكان موجها ليعود على قرطاجة بأفضل المزايا ، ويشير الفصل السادس كذلك الى امتداد العلاقات الاقتصادية لمدن طرابلس نحو الجنوب الليبي ، وخاصة رحلات القوافل التي ربطت هذه المدن بمدن الجنوب الليبي والتي شهدت ازدهارا كبيرة في حركة التجارة بين الطرفين ظلت اثارها الاقتصادية بادية حتى نهاية العهد العثماني الثاني ، ويشير الفصل كذلك الى العلاقات الاقتصادية التي ربطت المدن الفينيقية في طرابلس بالمدن الاغريقية في اقليم برقة ويخلص الى ان العلاقات التي سادت بين الطرفين كانت علاقات سلام ووئام في معظمها ازدهر خلالها التبادل التجاري بينهما وجاءت الاشارة في الفصل السادس بعد ذلك الى المقومات الاقتصادية لمدن اقليم طرابلس فيذكر ان الزراعة كانت تمثل عنصرا

هاما فى اقتصاديات الاقليم التى شارك فيها السكان الوطنيون بقسط وافر ، اما قطاع الصناعة فلم يكن له الا اثر ضئيل على اقتصاد المنطقة .

ونصل للفصل الختامى من هذه الرسالة ويتناول الكيفية التى انتقلت بها مدن الاقليم من العصر الفنيقى الى العصر الرومانى بالاضافة الى الفترة التالية للعصر الفينيقى وهى فترة الحكم النوميدى والتى لم تكن فى حقيقة الامر الا فترة مكملة للفترة الفينيقية من الناحية السياسية والحضارية .

ويتناول هذا الفصل جانبين الجانب الاول هو الجانب السياسى ويصور الطريقة التى تحولت بها هذه المدن ـ أى مدن طرابلس ـ من مدن فينيقية الى مدن رومانية .

اما الجانب الثانى فيصور الوجه الحضارى واستمرار التراث الحضارى الفينيقى من لغة وديانة وعادات وتقاليد ونشاط اقتصادى خلال العصر الرومانى نفسه ويعتبر بداية العصر الرومانى حتى القرن الثالث الميلادى على وجه التقريب استمرارا للعصر الفينيقى بالرغم من انتقال اقليم طرابلس للحكم الرومانى من الناحية السياسية .

واود هنا ان اشير الى ان المعطيات التى استخدمتها فى اعداد هذا الفصل بها كثير من الغموض بل والتضارب فى بعض الاحيان ولكننى اعتقد ان تلك المعطيات لم تكن لتتيح لى الامكان لان اقول اكثر مما قلت .

أما من الصعوبات التى واجهتنى فان ابرزها كان بعد المسافة التى تفصلنى عن الاستاذ الدكتور الفاضل / محمد طاهر الجرارى ، المشرف على هذه الرسالة هذا بالاضافة الى المشاكل الاخرى المعروفة لدى المشتغلين بهذه المسائل مثل مشاكل الطباعة وصعوبة الحصول على بعض المراجع وغيرها الكثير .

الفصل الأول

الفينيقيون في المشرق

الملامح الجغرافية لشبة جزيرة العرب

تقع بلاد العرب في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا وهي على شكل شبه جزيرة ، ولقد اطلق الجغرافيون عليها جزيرة العرب مجازاة ، فالبحر يحيط بها في ثلاثة جهات ، ففي الجنوب تطل على المحيط الهندي ، وفي الغرب تطل على البحر الاحمر ، أما من ناحية الشمال فتحدها صحراء سوريا وفي الشمال الشرقي الخليج العربي .

وتنقسم بلاد العرب الى عدة اقاليم جغرافية يختلف الواحد عن الاخر من حيث المناخ والتربة وأحوال سكانه .

وتسود المرتفعات والجبال اطراف الجزيرة ماعدا المناطق المطلة على الخليج العربي ، وتتعرض جنوب الجزيرة وشرقها للامطار الموسمية التي سمحت للسكان بمزاولة الزراعة على السفوح وفي الاودية وفي المنطقة الممتدة بين عمان واليمن ، ويسود الجفاف والمناخ الصحراوي معظم انحاء الجزيرة بشكل عام [1] .

الملامح الجغرافية لمنطقة الهلال الخصيب* :

تتكون منطقة الهلال الخصيب من جزئين مختلفين وهما باديه الشام من الجهة الوسطى يحيط بها من الغرب والشمال والشرق سلاسل جبلية ترتبط بها الهضاب السوريه والاناضوليه والايرانيه .

وترتبط باديه الشام بهذه الجبال عن طريق ارض خصبه تسقط عليها كميات من الامطار وتجري فيها الانهار وتمتد على شكل هلال طرفه الشرقي يطل على الخليج العربي وطرفه الغربي يطل على حدود مصر وتحده شمالا مسلسله طوروس [2] .

---

(١) د . الشامي ، صلاح الدين ود . الصقار ، فؤاد محمد ـ جغرافيه الوطن العربي الكبير ، مطبعة م . ب ، الاسكندرية ، الناشر دار المعارف ، اسكندرية ١٩٧٠ ص ٢٠ ـ ٢٢

(٢) بشور وديع ، الميثولوجيا السوريه الاساطير ارام ، الطبعة الاولى ، مؤسسه ذكر الابحاث والنشر ، بيروت ١٩٨١ ص ...

هذه المنطقة التي سكنها الانسان منذ العصور الحجرية القديمة كما تدل على ذلك البقايا التي وجدت في المنطقة كانت محط انظار شعوب عديدة لخصبها ومع بداية العصور التاريخية أخذت الهجرات السامية تتدفع اما على شكل جماعات صغيرة أو على شكل تحالفات قبلية كبيرة نحو هذه المنطقة كلما اضطرها ضيق العيش كما سبق أن ذكرنا .

العرب القدماء يتضح مما تقدم في الوصف ان السكان الذين كانوا يقطنون في وسط الجزيرة الشحيحة الماء وذات الطبيعة الصحراوية أضطروا الى ملائمة البيئة معتمدين في معيشتهم على تربية الحيوانات وخاصة الابل اذ كانت تقدم اليهم الكثير مما يحتاجون اليه من لحم وحليب لغذائهم ومن وبر لكسائهم ومن جلود لاحذيتهم وخلافها . كما كانت ملائمة جدا لترحالهم في الفيافي لتحملها العطش .

وكانوا رحلا بطبيعة الحال ينتقلون من مكان لآخر طلبا للماء والكلاء كان ولاءهم للقبيلة وكان شيخها المدير لجميع شئونها . عرفوا منذ القدم بعرب البادية وبالبدو وبالاعراب وبأهل الوبر نسبة للبيوت التي كانوا يأوون اليها وينسجونها من شعر الابل وهم اليوم في الانحاء الصحراوية من الوطن العربي . كماكانوا منذ قرون مع فارق الزمن ومقتضياته .

أما السكان من النواحي الاخرى من الجزيرة فكانوا يعتمدون في معاشهم على الزراعة فضلا عن التجارة لان الظروف المناخية والجغرافية كانت ملائمة لها ، كانوا يسكنون في مجتمعات قروية بصفة عامة ويعرفون بأهل المدر نسبة الى منازلهم التي كانوا يبنونها من الطين ، كما كانوا يعرفون بالحضر ، فقامت بينهم تبعا لذلك تنظيمات ادارية اقتصادية سياسية أي حكومات تدير شئونهم وأدى ذلك الى ظهور دول في المناطق الحضرية من الجزيرة ، لمعت بعضها فكان لها دور حضاري هام يذكره التاريخ .

الكنعانيون والفينيقيون :

الهجرة الكنعانية * والامورية تكاد تكون هجرة واحدة ولعلها هجرة لفرعين في قبيلة واحدة (1) ولكن الاموريين تأثروا بالمؤثرات الحضارية لوادي الرافدين بينما تأثر الكنعانيون بالمؤثرات المحلية لساحل بلاد الشام .

---

* حول هذا الموضوع انظر Kenyon, Kathleen, Archaeology The Holy Land, London. 1972

يشير الكتاب الى ان الكنعانيون قد عاشا في المنطقة في الالف السادس ق.م .

(1) ميخائيل ، نجيب ، مصر والشرق الادنى القديم (سوريا) الجزء الثالث ، مطبعة الشاعر ، الطبعة الخامسة ، الناشر دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٦

وعرف الكنعانيون الذين سكنوا ساحل سوريا الشمالي باسم الفنيقيين وهو الاسم الذى اطلقه عليهم الاغريق وعرفوا به بعد ١٢٠٠ ق.م [١].

ونحن لانستطيع تحديد السكان الذى هاجر منه الفينيقيون الى سواحل لبنان ويذهب هيردوت الى أن الفينيقيين ليسوا من أهل البلاد الاصليين ، وانما وصلوا اليها من البحر الاريتري اى الاحمر [٢].

ويذكر استرابون الجغرافي بان سكان الخليج العربي اكدوا له بأنهم يسمون بعض المدن باسم صيدا وصور وارود ، وان معابدهم تشبه معابد الفينيقيين [٣].

ويذهب جوستين الى أن الزلازل كانت من الاسباب التى جعلت الفينيقيين يهاجرون نحو السواحل البحرية السورية ومنها الى سواحل لبنان حيث بنوا مدينة صيدا [٤].

أما وثائق رأس شمراء أى أوغاريت ، فتذهب الى أن الفينيقيين وصلوا من شبه جزيرة سيناء او من النقب نحو الشمال وهذا يجعلنا نميل الى قبول رواية هيردوت واعتبارها قريبة من الواقع ولعل وطنهم الاصلى كان جزيرة العرب [٥]

---

(١) بشور ، وديع ، المرجع السابق ، ص ٢٢

(2) Heredetus I,1.
(3) Strabem 1,11-35 XVI, 27
(4) Justim, Trague Pempee Teme Beek

(٥) عرب ، معن ، صور ، المطبعة الكاثوليكية ، الناشر دار المشرق ، بيروت ١٩٨٦م ص ٨

اما اذا تطرقنا الى اصل هذا الشعب فسوف تقابلنا مشكلة معروفة وهي كيف نحكم على اصل شعب من الشعوب هل نحكم عليه من اللغة التي تكلم بها ام من طريق عرقه الذى انحدر منه ام عن طريق اللغة والعرق معا .

وعلى ذلك فأننا اذا حكمنا على الفينيقيين من لغتهم فأننا سوف نحكم عليهم بأنهم ينحدرون من اصول سامية حسب اللغة التي تكلموا بها وهي لغة سامية بدون شك [1] ولكن كما سبق أن ذكرنا فأن اللغة ليست دليلا على العرق الذى ينحدر منه شعب من الشعوب وهناك كثير من الشعوب التي تركت لغاتها الاصلية واتخذت لغات أقوام اخرى لغة لهم وهناك اكثر من مثال على ذلك فى التاريخ القديم مثل الشعب السومرى على سبيل المثال .

وعلى كل حال يمكننا ان نحكم على الشعب الفينيقي انه سامي الاصل يظهر أنه قد اختلط مع غيره من الشعوب الغير سامية فاذا اطلقت على شعبا من الشعوب صفة السامية فأنما نقصد أن هذه الصفة هي الصفة الغالبة على هذا الشعب وهذا يعني انه قد اختلط بغيره من الشعوب وكان ذلك واردا لان بلاد الشام كانت موئلا لجماعات بشرية سامية وغير سامية .

وبات امر الفصل بينهما امرا بالغ الصعوبة أن لم يكن مستحيلا لتداخل الاجناس واختلاطها واختلاط ثقافاتها ايضا [٢] .

---

(١) موسكاتي ، سبيتنو ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة د . السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٢٤ .

(٢) ديورنت ، ول ، قصة الحضارة ، الجزء الثاني من المجلد الاول ، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، الطبعة الثانية ، الناشر الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص ٣٠٩ .

ولقد بدء الاختلاط بين الاجناس منذ عهود سحيقة في القدم اي منذ العصر الحجري الحديث ، وعلى هذا الاساس فلا مجال للحديث عن جنس نقي تماما ، انما يمكننا ان نتحدث عن الصفة الغالبة لجنس من الاجناس.

اللغة الفينيقية :

واذا عدنا للحديث عن اللغة الفينيقية نجد ان جميع الدلائل تشير الى اصلها السامي ، حيث تقوم الصيغ على نظام الجذور الذي يتكون من ثلاثة حروف وهي التي تعبر عن المعنى الاساسي للكلمة (١) .

وتعود اللغة الفينيقية الى المجموعة السامية الشمالية وعلى وجه الدقة الى الفرع الفينيقي ويشتمل على العبرية واللهجة الموابية واثبتت الدراسات ان اللغة الفينيقية والعبرية القديمة تتشابه الى درجة كبيرة من حيث المفردات والنحو ويظهر انها الاصل الذي انحدرت منه اللغة العبرية القديمة (٢) .

الفينيقيون في بلاد الشام :

أننا لانعرف على الوجه اليقين الزمن الذي وصل فيه الفينيقيون الى سواحل بلاد الشام ، ولكن ماذكره هيرودوت في هذا الصدد قد يعطينا تاريخا مقبولا لوصول الفينيقيين الى سواحل فينيقية ، قال هيرودوت " انه ذهب في صور لزيارة معبد شهير مكرسا للاله هرقل ، فأخبره الكاهن ان المعبد قد شيد في نفس الزمن الذي شيدت فيه المدينه اي قبل الفين وثلاثمائه سنة ق.م "

---

(١) موسكاتي ، سبتينو ، المرجع السابق ، ص٤٤ .

(2) Albert C. [illegible], Encyclopedia Britanica, Vol 17, 1958 Edition, Item Phoenica. P. 764.

ومن المعروف ان زيارة هيرودت لفينيقيا قد تمت في القرن الخامس ق.م . فاذا اضفنا هذه القرون الخمسة الى تاريخ تشييد المعبد حتى ميلاد المسيح ، عرفنا ان الفينيقيين قد وصلوا الى سواحل بلاد الشام قبل حوالي ٢٨٠٠ قبل ميلاد المسيح (١) .

احتلت بلاد الفينيقيين الاراضي التي تمتد من النهر الكبير شمالا حتى جبل الكرمل جنوبا ، اما من ناحية الشرق فتحدها سلسلة جبال لبنان الشرقية ، اما من ناحية الغرب فتطل على البحر الابيض المتوسط (٢) .

وتشمل جبال لبنان الشرقية على منطقة غنية بأشجار الصنوبر ، الذي قام على أساسه اقتصاد فينيقيا القديم (٣) .

ويجري نهر العاص بين جبال لبنان الشرقية والداخلية وهي الاقرب الى الصحراء (٤) ، وفي هذه الجبال التي يسقط عليها الجليد في الشتاء لفترة طويلة من الزمن (٥) اشتق اسم لبنان من كلمة سامية قديمة تعني شدة البياض اي بياض ذلك الثلج الذي يغطي قمم تلك الجبال .

---

(1) Herodotus 11 44

(٢) كونتنو ، جورج ، الحضارة الفينيقية ، ترجمة دكتور محمد عبد الهادي شعيره ومراجعة دكتور طه حسين ، الناشر شركة كتب الشرق الاوسط ، القاهرة ص ٢٦ .

(٣) موسكاتي ، سبتينو ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٤) موسكاتي ، سبتينو ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٥) حتي ، فيليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة د . جورج حداد وعبد الكريم رافق ، الجزء الاول ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨م ، ص ٦٧ .

يرجح ان اسم كنعان يرجع الى اصل حورى بمعنى الارجوانى ، وهناك من يعتقد بأن أصل التسمية سامى بمعنى الارض المنخفضة [1] لقربه من مرتفعات لبنان ولقد كان مصطلحا جغرافيا اكثر منه مصطلحا عرقيا لأنه اطلق فى أول الامر على الساحل الفنيقى وغربى فلسطين ، ثم اصبح الاسم يشمل فلسطين وجزءا كبيرا من آسيا .

ولعل لفظه كنعان ترجع الى اصول سامية وهى قريبة بطبيعة الحال من العربية ايضا والكلمة كما وردت فى قاموس فاكهة البستان [2] تعنى الذل والخضوع .

كما ورد فى نفس القاموس السابق ذكره ان الكنعانيين هم أولاد كنعان بن حام بن نوح ولعل الاسم يرجع الى كنعان وهو يمثل الجد الاكبر الذى يرجع اليه هذا الشعب السامى .

ولقد ورد هذا الاسم فى الكتاب المقدس [3] مرجعا هذا الشعب الى كنعان بن حام وجاعلا منه جدا لهم .

وكان الاغريق القدماء يدعون سكان هذا الاقليم باسم الفنيقيين Phoinikes أى الشعب الاحمر الذى يشبه الدم او الرجال الحمر وربما بسبب لون جلودهم التى لوحتها الشمس او ربما لسبب استعمالهم للصبغة الحمراء التى برعوا فى استخراجها [4] .

---

(١) حتى ، فليب ، المرجع السابق ص٨٦

(٢) البستانى ، عبد الله ، فاكهة البستان ، الطبعة الاولى ، الناشر مكتبة لبنان بيروت ، ١٩٣٠ ، مادة كنع .

(٣) الكتاب المقدس ، الملوك ، ٥/٢٠ ، ٦/٣١ .

(٤) ديورنت ، ول ، المرجع السابق ص٣١١ .

تدل الدراسات أن اقليم لبنان القديم كان لايشمل نفس الحدود الحالية للبنان حيث كانت تلك الحدود تتغير بتغير العصور التاريخية [١].

ولقد عرف الفينيقيون هذا الاسم أى لبنان على شكل لبنون ، ولقد ورد اسم لبنان على الشكل الذى يعرف به اليوم بالنقوش الاكادية والمصرية والاشورية [٢].

أما اسم فينيقية فهو مجهول الاصل ولانستطيع تحديد اصله تماما ولعله يرتبط باسم الشعب نفسه أى انه جاء من لفظة فينيقى الاغريقية والتى يعتقد البعض أنها تعنى البلاد التى ينمو فيها النخيل ويظهر ان الاسم قد أطلق على الساحل السورى بصفة عامة وبشكل غامض ثم لم يلبث أن اطلق على المنطقة المحصورة بين آسيا الصغرى ومصر ، ولكنه مع مرور الزمن انكمش واصبح يطلق على الساحل السورى مميزا عن فلسطين [٣] وعلى ذلك فأن حدود هذا الاقليم اختلفت بأختلاف العصور كما سبق أن ذكرت.

فى شمال النهر الكبير كانت تقوم مدينة ارادوس وماراداوس ، اما فى الجنوب فكانت الحدود الفينيقيه تصل احيانا الى مدينة يافا وكان هذا الشاطىء الطويل يزخر بالموانى التى كثيرا ماغمرتها الرمال فتجعلها غير صالحة للملاحة حيث لم يتبق منها ماهو صالح للملاحة سوى ميناء بيروت وكانت [٤] كثيرا من موانىء المدن الساحلية مثل صيدا وصور وارواد س منفصلة عن البر لسهولة الدفاع عنها فى اوقات الحرب.

(1) Albert. C... G..., Encyclopedia Britanica "Itam Phoanica" Op. Cit. P. 763.

(٢) لامنس ، اليسوعى ، هنرى ، تسريح الابصار فيما يحتوى لبنان من الاثار ، ١ - ٢ ، القسم الثانى ، الطبعة الثانية ، الناشر دار الرائد اللبنانى ، لبنان ١٩٨٢ ، ص٤ .

(3) Rawlinson Ma., Gaorge, Phoaninia, T. Fisher Unwin, London, P.1

(4) Albert, C. G..., Encyclopedia Britanica, " Itam Phoanica" Op. Cit. P. 763.

وكان الموقع الداخلي مقرا يمارس فيه السكان الزراعة والصناعة وبقية الانشطة الاقتصادية بالاضافة الى الحياة الاجتماعية اليومية ، أما موانيء هذه المدن وكانت غالبا [(١)] على شكل شبه جزيرة فكانت ملاذا لهم عند الحروب حيث يصعب الوصول اليها لاحاطة البحر بها من كل جانب.

ولقد ذكرت لنا الواح تل العمارنة اسماء المدن الهامة في أتليم* فينيقية وجاء ذكر هذه المدن كذلك في الوثائق المصرية والاشورية والكتاب المقدس(العهد القديم) مثل آكو وهي مدينة عكا الآن واخيب(الزيب الان) وصيدون (صيدا الآن) وبيروتا أي (بيروت الحالية) كما وردت في النصوص المصرية القديمة ، وبلوس[(٢)] (جبيل الفينيقيه) وجبيل الحالية .

وبالرغم من تفرق هذه المدن الا انها كانت تتحد في اوقات الازمات وبدافع الخوف من الغزو الخارجي وكمثال على ذلك الزعامة صيدا[(٣)] لهذه المدن في حوالي القرن الثاني عشر ق.م.

---

(١) حتى فليب ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .

* انظر خريطة فينيقيا وقبرص (شكل ١) .

(2) Albert Ga... G..., Encyclopedia Britanica, " Itam Phoenica" Op. Cit, P. 763

(٣) حتى فليب ، المرجع السابق ، ص ٩٢ .

المدن الفينيقية فى الساحل الشرقى للبحر الابيض المتوسط

تمتعت المدن الفينيقيه فى الساخل الغربى لبلاد الشام باستقلالها السياسى لفترة قصيرة من الزمن - وكان من الصعب عليها المحافظة على ذلك الاستقلال لموقعها الجغرافى بين القوى العظمى فى ذلك الوقت مثل قوة مصر واشور.

بدأ هذا النفوذ يتمثل فى تدخل مصر فى شئون تلك المدن مثل صيدا وصور وجبيل وغيرها والتى كانت تدفع الجزيه الى مصر ولم ينتهه ذلك النفوذ الا فى القرن الثانى عشر ق.م.

وبعد انتهاء النفوذ المصرى تمتعت المدن الفينيقية باستقلالها لفترة قصيرة من الزمن واستطاعت خلال هذه الفترة انشاء المستعمرات عبر البحر ولقد تم ذلك بزعامة صيدا.

منذ عام ٨٨٩ ق.م بدأ استقلال فينيقيا الفعلى ومنذ عهد آشور نصر - بال بدأت بعض المدن الفينيقية الهامة مثل صور وصيدا فى دفع الجزيه الى آشور واستمر ذلك الى أن انتقلت فينيقيا الى الحكم الكلدانى عام ٦٢٠ ق.م ثم الحكم الفارسى.

وفى هذه الحقبة الزمنية اصبحت بلاد فينيقيا [1] جزءا من الولاية الخامسة فى الامبراطورية الفارسية من ٥٣٨ ق.م الى ٣٣٣ ق.م.

---

(1) Albert G.G.2 Encyclopepia Britanica Item "Phoenica" P.Cit, P.765

وعندما انتصر الاسكندر الاكبر على الفرس بعد معركة ايسوس ٣٣٣ق٠م انتقلت فينيقيا الى ايدى المقدونيين وبعد موت الاسكندر تأرجحت بلاد فينيقيا بين البطالمة فى مصر وبين السلوقيين فى سوريا[1]

وعندما انتقل حكم الشام ومصر الى الرومان انتقلت معهم فينيقيا الى أيدى الرومان[2] ثم البيزنطيين وبقيت كذلك الى ان وصلها العرب اثر الفتح الاسلامى لبلاد الشام٠

الديانة الفينيقيـــة :

عبد الفينيقيون شأنهم شأن الشعوب القديمة مجموعة كبيرة من الالهة، وكانت ديانتهم تتسم بطابع زراعي ولعل هذا يدل على أن الزراعة كانت[3] أول نشاط اقتصادي مارسوه قبل التجارة والصناعة٠

وكان (ال) او ايل على رأس الالهة الفينيقية وهو اسم سامى قديم يعنى بشكل عام آله وقد استعملته شعوب سامية اخرى كعلم لكبير الالهة وظل هذا الاسم اله يكتنفه الغموض وعرفت زوجته[4] بأسم (اشرت) وذكرت فى التوراة بصفة اخرى وهى (اشيرا)٠

(1) Ibid P. 766
(2) Idem.

(٣) ايمار ، اندرى ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ترجمة يوسف اسعد داغر ،المجلد الاول ،الطبعة الثانية ، منشورات عويدات بيروت ، ١٩٨١ ، ص٢٦١٠

(٤) موسكاتى ، سبتينو ، المرجع السابق ص١٢٧٠

وعرف الفينيقيون مجموعة أخرى من الالهة تذكر منها بعل [١] وهو الـه الصاعقة والرعد وداجون الـه القمح .

وكان لكل مدينة الهها الخاص وكانت صفات هذه الالهة كثيرا ما تتبدل نتيجة لتبدل وظائفها ولعل مرد ذلك عدم وجود تنظيمات دينية [٢] دقيقة فلم تكن طبقة الكهان منظمة تنظيما جيدا كما هو الحال في بلاد الرافدين .

وعرف الفينيقيون بناء الهياكل للالهة [٣] وكان الغرض منها اقامة سكن خاص بالالهة يمكن للناس زيارتها .

وترك لنا الفينيقيون مجموعة من الانصبة والصور والتماثيل البرونزية الصغيرة التي تمثل بعض الالهة والتي أستعملها الفينيقيون في أداء الشعائر الدينية في المنازل [٤] .

وعرف الفينيقيون الاضحية البشرية وخاصة الاطفال [٥] وتقديمها كقرابين للالهة مولخ ، كما عرفوا عبادة الاموات [٦] .

وخلاصة القول ان الديانة الفينيقية كانت ذات طابع محلي تأثر واثر في البلاد المجاورة مثل مصر [٧] بالاضافة الى وجود العديد في المعابد والعراق في كل بلاد الشام تتحمل نفس الطقوس الدينية .

---

(١) ايمار ، اندرية ، واخرون ، الشرق واليونان القديمة ، المرجع السابق ص ٢٦٠ .
(٢) موسكاتي ، سبتينو ، المرجع السابق ص ١٢٧ .
(٣) حتى ، فليب ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ .
(٤) حتى ، فليب ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ .
(٥) ايمار ، اندرية وأخرون ، الشرق واليونان القديمة ، المرجع السابق ص ٢٦٠ .
(٦) ديورنت ، ول ، المرجع السابق ص ٣٢٤ .
(٧) موسكاتي ، سبتينو ، المرجع السابق ص ١٢٨ .

الفنـــون عنـد الفنيقـــيين :

استمدت الفنون الفينيقيـه عناصرها من فنون الشعوب المجاورة لها فهو لـم يتخذ اسلـوبا خاصا بها بل اعتمد على تقليد الفنـون الاخرى .

ومع ان الفينيقيـين فى فنونهم اقتبسـوا من فنون الشعـوب المجاورة مثـل مصر والشعوب الاسياويـة بصفة عامة والفنون البابليـة بصفة خاصـة بالاضافـة الـى العناصر المحليـة والعناصر الاغريقيـة فانهم جعلوا منها فنا فينيقيا ميـازا (١) .

وكمثال على التميـز المصرى فكثيرا مانجد علامه عنـخ رمز الحيـاة عنـد المصريـين القدماء وقد رسمت على قطع الفنـون الكنعانيـة .

ويظهر ان التشـايرات المصرية فى خلال النصف الثانى فى الالف الثانية قبـل الميلاد كانت اوسـع انتشارا من تشـيرات بلاد النهريـن (٢) .

وعرف الفينيقيـون فن حفر الخشب والمعادن وبرعوا فيها بالاضافـة صناعـة العاجيات والزجاج ومـن روائع صناعـة الزجاج التى عثر عليهـا سمكتان مـن الزجـاج الابيض(٣) ، كما برع الفينيقيـون فى فـن الصياغـه والحلى الجميلة بالاضافـة الـى مهارتهـم فى فـن الزخرفـة والنحـت كما سجـلت براعتهـم فى النقوش التى تركوهـا على المقابـر الفينيقيـة (٤) .

---

(1) Albert C. G., Encyclopedia, Britanica, "Item Phoenica" Op. Cit. P. 768

(2) Idem

(٣) عرب ، معن ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٤) الاثرم ، رجب عبد الحميد ، الحضارة الفينيقية فى المغرب العربى ، محاضرات القيت على طلبه السنه الرابعه ٨٨ بكليه الاداب جامعة قاريونس

الحياة الاقتصاديــــــة :

الزراعـــــــــــــة :

عرف الفينيقيــون الزراعـة على سفوح الجبال واهتموا بزراعة الحبــوب التي كانـت تشكل الغذاء الاساسـي للسكـان مثل القمح والشعير بالاضافـة الى تربيـة المواشـــي والصناعـات التي تقـوم على الزراعـة [١] مثل المنسوجـات وغيرها ٠

وعرف الشوفان [٢] والفوصوليـا والعنب والزيتـون والتين والرمـان والجـــوز واعتمدوا في ريهـم على الامطـار والابار والعيون ايضا ٠

التجـــــــــارة :

وكانت السفن الفينيقيـة ذات طابع خاص تتميز بالسرعـة وصغر حجمها وكانـــت لاتبتعد عن الشاطئ وتتوقـف عن الابحار ليـلا وعندما تطـورت الملاحة عنـد الفينيقيـون أخذوا يسترشـدون بالنجوم واستطـاعوا الابحار في اعمـاق المحيطـات وقاموا بكثـير مـن الرحـلات ومن اشهرهـا الرحلـة التي قاموا بهـا حول افريقيـا [٣] وقد دفعهم اهتمامهم بالتجـارة الى البحث عن اسـواق لبيع سلعهـم وقاموا بدور السماسـرة فكانوا يقومـــون بدور الوسيط التجـاري وتركـوا امور التجـارة البرية للارامـين [٤] ٠

وبدأ الفينيقيـون تعاملهم التجاري [٥] عن طريق المقايضة ولكنهم فـي النصـف الثاني في الالف الاولى ق٠م أستعملـوا العملـة ٠

---

(١) ايمار ، اندرية واخرون ، الشرق واليونان القديمة ، المرجع السابق ، ص٢٦٠ ٠
(٢) حتي ، فليب ، المرجع السابق ، ص٩٣ ٠
(٣) ديورنت ، ول ، المرجع السابق ، ص٣١٣ ٠
(٤) ايمار ، اندريةواخرون ، الشرق واليونان القديمة ، المرجع السابق ، ص٢٥٨ ٠
(٥) موسكاتي ، سبتينو ، المرجع السابق ، ص١٣٦ ٠

ولقد اثبتت الحفريات الحديثة في كريت عن قيام حضارة بحرية قامت على التجارة البحرية وهي الحضارة التي عرفت بأسم الحضارة المينابية والتي ظهرت حوالي ٢٥٠٠ ق.م ولكن هذه الحضارة لم يكتب لها الدوام فسقطت وحلت محلها الحضارة الميسينية والتي قامت واعتمدت في قيامها على التجارة وعلى ذلك فأن ظهور الفينيقيين كتجار في البحر الابيض المتوسط لم يكن ظهورا مفاجئا بل هو استمرار لحضارات بحرية سابقة [1] في الظهور مثل الحضارة المينابية في كريت والميسينية في اليونان

الصناعة :

اذا تحدثنا عن الصناعة عند الفينيقيين فلا بد من ذكر صناعة الارجوان اي الصبغة الحمراء التي كانوا يستخرجونها من بعض المحار البحرية بالاضافة الى انواع معينة من الحشرات وكانت هذه الصناعة من اسباب الرواج التجاري الكبير الذي عرفه الفينيقيون وبالاضافة الى هذا عرف [2] الفينيقيون صناعة المنسوجات واشغال المعدن مثل الفضة والذهب والكهرمان وطرق صناعة الزجاج وخاصة في صيدا حيث كانوا يبيعون هذه المنتجات الى غيرهم بالاضافة الى فائض مايصلهم من سلع الهند والشرق الاقصى من حبوب وخمور وحجارة كريمة الى حوض البحر الابيض المتوسط [3] .

---

(1) Albert C... G..., Encyclopedia Britanica, " Item Phoenica" Op. Cit P. 767.

(2) Albert C... G..., Encyclopedia Britanica, " Item Phoenica" Op. Cit, P. 768.

(٣) ديورنت ، ول ، المرجع السابق ، ص٢١١ .

الحـروف الابجديـــــة

كان للفينيقيـين الفضل فى تطوير الحروف الابجدية ونقلها للعالم القديـم ويظهر ان التجـارة كانت العامـل الاساسـى الذى دفع الفينيقـيين الى الاهتمام بأيجـاد وسيلـة يمكن بها تدوين وتحريـر معاملاتهـم التجاريـة .

وما أن نقلها الاغريق الى لغتهـم حتى طوعوها لتلائم طبيعـة لغتهم واتخذ ت طابعا خاصـا واصبحـت اسـاسا للاحرف المستعملـة فى معظم اللغات الاوربيـة وبعض اللغـات الشرقيـة ايضـا .

ولا تزال قضيـة الحروف الفينيقيـه مثار للجدل وتعددت الاراء فـى المصـدر الذى إخـذ منه الفينيقيـين هذه الحروف ولكن النظرية التى تجـد القبول بـين العلمـاء الان هو اعتبـار اول من عمل على تطـوير الحروف المصرية القديمة ولقـد ذكـر لنا العلمـاء ان الفينيقيـين يعملون كعمال مناجم فى صحراء سينـاء قـد اقتبسـوا تلك الحروف من جيرانهـم المصريين وجعلوها مؤلفـه مـن ٢٢ حرفـا[١] وهو امر يدعـو الى التساؤل فيكيف يمكن لعمال ان ينقلـوا حروفا من شعـب الـى آخر بهذه السهولـة وعلى كل حال فالامر يحتاج الى مزيـد من الادلة لاثبات ذلك واصبحـت هذه الاشـارات تعـبر عن اصـوات معينـة بعد ان كانت تعـبر عـن معانـى معينة كما كان الحال فى اللغـة المصرية القديمـة فى بداياتها الاولى .

وكتب الفينيقيـون هذه الحروف رأسيـا وليس أفقيـا كما كان الحـال عنـد المصريـين واعطى لكل حرف مصـرى أسمـا مقابلا فى الفينيقيـهليدل علـى حـرف واحد جامد فمثلا رأس الثور المصرية[٢] أصبحت تمثل حرفا واحدا وهو الـف (أ) ورسـم المنزل اصبح يمثل حرف الباء وسمى بيت أو بيتا فى الاغريقية .

(١) حتى ، فليب ، المرجع السابق ، ص١٢٠ .

(٢) رزقانه ، ابراهيم ، واخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، دار مصر للطباعة الناشر مكتبة مصر ، القاهرة ، ص٢٠٢ .

ومن أشهر النقوش التي وجدت مسجلة بهذه الابجدية كوبا [١] من البرونز وعليه أتيرام احد ملوك صور الى احد الالهة .

وبالرغم من فضل الفينيقيين في اختراع هذه الحروف الا ان اسهامهم في الادب كان قليلا بل لعله لايذكر بالنسبه لما تركه لنا المصريون القدماء على سبيل المثال فقد كانوا امة أكثر منها امة ادب.

وتظهر الالواح التي عثر عليها في اوغاريت في شمال فينيقيا على وجود تأثيرات متبادلة بين الاساطير الاغريقية والاساطير والكنعانية ولكن من الصعب تحديد أثر الاولى على الاخرى ولعل مجموعة من المعتقدات المشتركة هي التي كونت الاساطير المتداولة بين شعوب البحر المتوسط والتي لاتنسب الى شعب معين قد اثرت في تلك الشعوب ومن المرجح ان جزيرة كريت ربطت بين شعوب الشام واليونان القديمة ومصر عملت على نشر ومزج تلك الاساطير فكونت تراثا مشتركا لعالم البحر الابيض المتوسط [٢] .

*التوسع الفينيقي والنشاط البحري :

لعله من الغريب ان يتحول شعب عاش في الصحراء او قريبا منها الى شعب بحري وهو الشعب الفينيقي ولكن هذا التحول لم يكن تحولا مفاجئا ولعل مرور الفينيقيين على شواطىء الخليج العربي قبل وصولهم الى سواحل الشام قد اعطاهم بعض الخبرة البحرية حتى اذا استقروا على شواطىء فينيقيا ووجدوا البيئة المناسبة برزوا في ميدان البحار واستغلوا الاخشاب الموجودة في جبال لبنان في صناعة السفن ، بالاضافة الى أن البيئة المحلية [٣] لم تعد قادرة على اعالة الاعداد المتزايدة من السكان.

---

(١) ديورنت ، ول ، المرجع السابق ، ص ٣٣٦ .
(٢) موسكاتي ، سبتينو ، المرجع السابق ، ص ١٣٣ .
* انظر خريطة التوسع الفينيقي القرطاجي في حوض البحر الابيض المتوسط . (شكل ٢)
(٣) رزقانه ، ابراهيم واخرون ، المرجع السابق ، ص ٣٩٢ .

ومن الجدير بالملاحظة ان الفينيقيين لم يكونوا شعبا محاربا ، بل كانوا شعبا يميل الى السلام ولم يخض الحروب الا مضطرا او دفاعا عن وجوده كما سيظهر لنا عند دراسة هذا الشعب بشكل مفصل فأستخدموا في أول عهدهم بالبحار السفن الصغيرة السريعة .

ولا شك ان اهتمامهم بالتجارة كان العامل الرئيسي في دفعهم الى ركوب البحر ثم انشاء محطات تأوى اليها السفن ثم تحولت الى مراكز تجارية تقوم بعملية البيع والشراء مع سكان المناطق التى تنشأ فيها تلك المحطات ومع مرور الزمن اتسعت تلك المراكز التجارية وتطورت وتحولت الى مستوطنات للسكن على سواحل اسيا الصغرى وعلى سواحل البحر الابيض المتوسط الشمالية وفي جزر البحر الابيض المتوسط وعلى شواطئ الشمال الافريقي وبعض المستعمرات الفينيقية التى أسست فى شبه جزيرة ايبريا القديمة مثل قادس ثم فى سردينيا حتى اذا ماجاء القرن العاشر والثامن قبل الميلاد [1] بلغ النشاط البحرى ذروته عند الفينيقيين .

---

(١) حتى ، فليب ، المرجع السابق ، ص ١١٠

الفصل الثاني

طرابلس قبل وصول الفينيقيين

الملامح الجغرافية لشمال افريقيا واقليم طرابلس

يعتبر الشمال الافريقي من الناحية الجغرافية اقليما واحدا فهو منعزل عما حوله ، فالبحر المتوسط يفصله عن قارة اوربا من ناحية الشمال والمحيط الاطلسي يعزله من الناحية الغربية ، أما الصحراء في الجنوب فتعتبر حاجزا يفصل بين هذا الاقليم وبين افريقيا السوداء.

وبذلك يصدق التعبير العربي الذى كان العرب يطلقونه على هذه المنطقة وهو " جزيرة المغرب " [1] وهو تعبير صادق في تصويره لهذه العزلة الجغرافية ولكنه ليس صادقا تماما اذا تحدثنا عن تاريخ المنطقة فبالرغم من وجود هذه العزلة الجغرافية بين هذه المنطقة وغيرها الا ان ذلك لم يمنع من وصول هجرات مختلفة الى المنطقة .

وفي هذه المنطقة تقع ليبيا ، فهي بداية الشمال الافريقي الذى يمتد من حدود مصر الغربية حتى المحيط الاطلسي.

أما منطقة طرابلس فهي تمثل الجزء الغربي من ليبيا الحديثة وهي تمثل المنطقة التي كانت مسرحا للحضارة الفينيقية بالاضافة الى بقية الشمال الافريقي ، حتى المحيط الاطلسي ، اما منطقة برقة فقد كانت مسرحا للهجرات الاغريقية وبذلك تكون ليبيا ميدانا لحضارتين متنافستين .

واذا اردنا تحديد منطقة طرابلس فنستطيع ان نقول انها المنطقة الواقعة بين اقصى القسم الشرقي من منطقة سرت الغربية (رأس جدير) وبداية

---

(١) غوتيه ، أ . ف. ماضي شمال افريقيا ، ترجمة هاشم الحسيني ، مطبعة دار غندور ، الطبعة الاولى ـ الناشر دار الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ١٩٧٠م ، ص ٧ .

منطقة سرت الكبرى (خليج سدره) وبين المنطقة الممتدة جنوبا (فزان) والمنطقة الساحلية من سرت الكبرى ، هذه المنطقة هي التي عرفت باسم القطر الطرابلسي [١] .

ان شمال افريقيا كما ذكر استرابون [٢] يشبه جلد الفهد ، فالمساحات القابلة للسكن مبعثرة مثل النقاط التي على جلد الفهد ، ولعل هذا التصوير يمثل منطقة طرابلس خير تصوير ، فالمنطقة تمثل مجموعة من المراكز المنعزلة عن باقي الشمال الافريقي .

ويمتد على طول الساحل الطرابلسي شريط من الواحدات على طول الساحل من زواره في الغرب الى مصراته في الشرق.

وجنوب هذا الشريط الساحلي يقع سهل مكشوف مثلث الشكل وهو الذى يعرف باسم سهل جفارة ، تحيط به حافة الهضبه التي تمتد من تونس خلال نالوت ثم تتجه نحو الساحل عند الخمس ويطلق على هذه الهضبه " الجبل " وله اسماء محلية متعددة ، ففي الغرب جبل نفوسه ، وشرقه يوجد جبل غريان ، وشرقه جبل ترهونه ، ثم جبل مصراته الذى يلتقي في الخمس بالبحر [٣] .

وفي منطقة الشريط الساحلي حيث تقع اخصب بقعة زراعية ينساب مجرى وادى كعام منطقة طرابلس ، في تلال مسلاته المعروفة بوادى (تغلات) لعدة كيلومترات وتنتهي في البحر.

---

(1) Mceighi A., La Tripelitania antica, Vol 1 Verbezia A. Arieldi Editore, 1940, P.1
(2) Strabon, II, 33

(٣) زرقانه ، ابراهيم احمد ، جغرافية الوطن العربي ، ليبيا ج مطبعة لجنه البيان العربي ، الناشر دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤م ص٢٢ .

تنحدر الهضبة الصحراوية خلف الجبل بلطف نحو الجنوب الغربي [1] وتتلاشى فيه ، اما نصيب منطقة طرابلس من الامطار فهو قليل ، نظرا لانها تقع في اقليم ظل المطر ، لان الرياح الشمالية الغربية التي تسبب سقوط الامطار تسقط معظم كميات المياه على جبال أطلس وتأتي معظم امطار طرابلس من السحب التي تصل من جنوب جزيرة صقلية وتبلغ كمية الامطار اقصاها قرب مدينة طرابلس ، وفي الجهة الوسطى والشرقية من الجبل [2] .

ويعتبر اقليم طرابلس شديد الحرارة في فصل الصيف ولكن البحر المتوسط يعمل كملطف لدرجة الحرارة وان كان اثر هذا العامل لايتجاوز العشرة كيلومترات داخل اليابسة ، ثم يبدأ اثر المناخ الصحراوي في الظهور وعلى ذلك يمكن أن نعتبر مناخ ليبيا بصفة عامة يتمثل في المناخ الصحراوي ومناخ البحر المتوسط ولكن تأثير مناخ الصحراء اقوى اثرا على مناخ ليبيا [3] .

وبما أن اعلى نسبة من الامطار تسقط على منطقة مدينة طرابلس فأن الكثافة السكانية للاقليم تتركز على الساحل وبطبيعة الحال فأن الزراعة في المنطقة الساحلية تعتمد على الامطار ، كما تعتمد المنطقة الجنوبية على الري من الابار [4] .

ولقد عرفت منطقة طرابلس منذ القدم بخصوبة ارضها ولنا فيما تركه الكتاب الكلاسيكيين خير دليل على ذلك .

---

(1) Haynes D.El, Antiquities of tripolitania, The Trinity Press, Published by the antquitas department of libya 1959 P.13

(٢) رزقانه ، ابراهيم احمد ، المرجع السابق ص ٣١ – ٣٢ .

(٣) رزقانه ، ابراهيم احمد ، المرجع السابق ص ٣١ .

(4) Haynes D.EL, OP.Cit,P.14

أما المناطق الداخليه من اقليم طرابلس كانت ولا شك مثمره كثيرة الخيرات فأن ماذكره هيردوت[1] في وصفه لمنطقة وادي كعام وتل آلهة الجمال (سلاته) يوحي لنا بأن المنطقة كانت شديدة الخصوبة ، هذا وان ماذكره الجغرافي استرابون[2] في وصفه لمنطقة رأس مصراته يؤكد ذلك أيضا .

السكان القدماء لمنطقة طرابلس قبل العصر الفينيقي :

ان سكان اقليم طرابلس هم جزء من سكان الشمال الافريقي ، واذا اردنا ان نتحدث عن سكان طرابلس في تلك الفترة وجب علينا التحدث عن سكان الشمال الافريقي ككل ، فهم يمثلون وحدة بشرية تجمع بينهما مجموعة من الخصائص اللغوية والاجتماعية ، كما انهم كانوا يسكنون في منطقة واحدة تمتد من حدود مصر الغربية حتى المحيط الاطلسي .

ومن المعروف أن الاغريق كانوا يطلقون على الشمال الافريقي اسم ليبيا ماعدا مصر[3] ويظهر ان اسم ليبيا كان يعني كل المنطقة المعروفة من القارة الافريقية في ذلك العهد حتى ان هيردوت[4] قسم العالم الى ثلاث قارات هي : آسيا وليبيا واوروبا ، وكلمة ليبيا غير معروفة الاصل تماما وقد اختلف الجغرافيون على اصل الكلمة ، ويعتقد انها اشتقت من اسم لوبا LUBBA او اللواتة LEWATA او ليلا LELALA ويظهر ان الكلمة الاصلية قد اصابها التحريف على ألسنة الاغريق انفسهم

(1) Herodtus IV, 196
(2) Strabon XVII, 20
(3) Herodtus II 16, 17
(4) Herodtus II 16, 17

واصبحت ليبس LKBKS أو [illegible] LIUYE والمرجح ان اصل الكلمة يرجع الى العصر الفرعوني في مصر حيث اطلقه المصريون على مجموعة من الجماعات البشرية التي كانت تسكن في المنطقة الواقعة في غرب مصر ، ثم تغير مفهوم الاسم فأصبح يطلق على المنطقة التي سكنتها تلك الجماعات وفي العهد الاغريقي اطلق الاسم على كل الشمال الافريقي كما سبق أن ذكرت[1] .

وفي العصر الروماني كان اسم افريقيا يعني الجزء الذى جعلت منه روما ولاية افريقية بعد تدمير قرطاج بعد الحرب البونية .

ومع مرور الزمن انكمش اسم ليبيا وحل محله اسم افريقيا عندما بدأ الكتاب اللاتين في استعمالة في النصف الاول من القرن الثاني قبل الميلاد علما على الجزء الذى انتشرت فيه الحضارة الفينيقية في شمال تونس الحالية والجزء الغربي من ليبيا الحالية حيث اقتبس الاسم من احدى القبائل التي كانت تقطن في المنطقة والتي تعرف باسم افرى[2] .

---

(١) الشرقاوي ، محمد عبدالمنعم والصياد ، محمد محمود ، ملامح المغرب العربي الطبعة الاولى ، الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٥٩م ، ص ٥٥ .

(٢) جوليان ، شارل اندرى ، تاريخ افريقيا ، ترجمة طلعت اباظة وعبدالمنعم ماجد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، مجموعة الالف كتاب ٢٦٤٦ القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص .

ولقد اطلق الرومان على سكان شمال افريقيا اسم بربر بدلا من اسم الليبيين التي كانت مرادفة لها في المضمون ، وكلمة بربر اصلها بالاغريقية Βάρβαρος " بارباروس" * واخذ ها اللاتين عنهم فأصبحت Barbarus والكلمة كانت تعني الشخص الذي لا يتكلم الاغريقية واستعملها الرومان .

---

* البربر : اطلقت هذه الكلمة على سكان الشمال الافريقي القدماء ولقد تغير مفهوم الكلمة في العصر الحديث ، من معنى عرقي الى معنى سياسي ، حيث اراد الاستعمار الحديث خلق اقليات لا وجود لها بغية تسهيل حكم اقطار الوطن العربي .
وتشير الدراسات التاريخية الحديثة ان سكان شمال افريقيا القدماء والذين اطلق عليهم الاغريق كلمة بربر - هم في حقيقة الامر احد الاجناس العربية القديمة التي هاجرت من جنوب اليمن في عهود سحيقة في القدم ولعل خير دليل على ذلك هو التشابه الشديد من الناحية الجسدية بين هؤلاء السكان وبين العرب بالاضافة الى التشابه الشديد في العادات والتقاليد من كرم وشجاعة واعتزاز بالنفس وحب الحرية وهي كلها من الصفات التي عرفها العرب في ماضيهم وحاضرهم .
ولا يفوتنا ان نذكر سرعة تعلم سكان الشمال الافريقي القدماء اللغة العربية الحديثة وسرعة اعتناقهم الدين الاسلامي وتشير الدراسات التاريخية ان سكان الشمال الافريقي القدماء ينتمون الى العرق الحامي وهو عرق يمت الى العرق السامي بأقوى الصلات بل لعل الفرعين كانا من اصل واحد في بداية التاريخ وسكان اليمن انفسهم الذين يرجح انهم الاصل الذي جاء منه هؤلاء السكان الذين ينحدرون من اصول سامية حامية ، ولا تزال بعض قبائل اليمن حتى الان تعد من القبائل الحامية مثل قبائل الكارا والشاهاري وغيرها .

ويظهر ان ذلك قد حدث نتيجة لعدم فهم الرومان لغة السكان[1] الاصليين فى شمال افريقيا ، وانتقل هذا الاسم بعد ذلك الى العرب اثناء الفتح العربى الاسلامى للمنطقة ، وبالرغم من ان هذا الاسم قد اطلق على شعب واحد سكن منطقة واحدة محددة الا أن هذا الاسم لايحمل مضمون جنسى محدد .

وبالرغم من تعدد الاسماء التى اطلقت على سكان هذه المنطقة مثل الليبيين والبربر وغيرها ظلت هذه الاسماء دائما علما لشعب واحد وقد تغيرت بمرور الزمن لغاته ولهجاته وبعض صفاته الجنسية بحكم اختلاطه بغيره ، وظل مع ذلك عنوانا لنفس الشعب الذى سكن فى نفس المنطقة فى عصور تاريخية مختلفة .

ظهر اسلاف السكان القدماء فى المنطقة نتيجة لاختلاط مجموعة كبيرة من الاجناس هاجرت اثناء العصور التاريخية نفسها ويرى ابن خلدون ان سكان المنطقة القدماء ينتسبون الى افريكوس وهو جد قبيلة صنهاجه وقد وصل الى شمال افريقيا عن طريق اليمن قبل مولد الرسول الكريم بفترة قصيرة غير معروفة تماما [2] .

ولقد ذهبت مجموعة كبيرة من العلماء الى ارجاع سكان المنطقة الى منطقة عمان واليمن والصومال وحملت معها لغاتها الحامية ولعلها كانت فى خلال العصر الحجرى الحديث[3] .

---

(١) الشرقاوى ، المرجع السابق ص٥٥ .
(٢) الشرقاوى ، المرجع السابق ص٥٦ .
(٣) الناضورى ، رشيد ، تاريخ المغرب الكبير العصور القديمة ، الجزء الاول — دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص١٦٣ .

والحاميون والساميون ينتمون الى مجموعة عوقية واحدة وهي سلالة البحر المتوسط [1] ، ولعل سرعة امتزاج العناصر المحلية مع الفاتحين المسلمين وتشابه حياتهم الاجتماعية يرجع الى تلك الصلات ، فلقد اعتنقوا الاسلام وحسن اسلامهم وتعلموا العربية فأجادوها ، بينما لم يحدث ذلك مع الرومان مثلا عندما نزلوا في شمال افريقيا [2] .

ويذهب كثير من العلماء الى ان سكان المنطقة القدماء ينحدرون من اصول اوربية متخذين من وجود عناصر ذوي عيون زرقاء وشعر اشقر في شمال افريقيا ومن قرب اوربا الجغرافي ومن تشابه العصور الجيولوجية والمناخية بين المنطقتين ادله على مايذهبون اليه ولربما فأتهم ان العنصر الاشقر في شمال افريقيا لايمثل جميع السكان او حتى غالبيتهم .

وهناك من حاول ارجاع هذا العنصر الاشقر الى الجنود الرومان والفاندال [3] . علما بأن قبيلة التحو الليبيه تتميز بهذه الصفات .

وخلاصة مايمكن قوله في هذا الصدد ان سكان الشمال الافريقي القدماء يرجعون الى اصول سكانية قديمة سكنت المنطقة في العصر الحجري القديم واختلطت مع عناصر سكانية أخرى مختلفة منها العنصر السامي الذي يحتمل انه وصل الى المنطقة من جهة ما من الجنوب الجزيرة العربية وماحولها وعنصر اخر يتميز بالشقره قد يكون من اصل اوربي وقد يكون اصليا ولكنه لايشمل الا جزءا بسيطا من العناصر السكانية التي سكنت المنطقة [4] .

---

(١) الكعاك ، عثمان ، البربر ، مطبعة الترقي ، الطبعة الاولى ، الناشر كتاب البعث ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص ٦٥ .

(٢) الشرقاوي ، محمد عبد المنعم ، الصياد ، محمد محمود ، المرجع السابق ص ٧٩ .

(٣) الاشرم ، رجب عبد الحميد ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، الطبعة الاولى الناشر دار اماني للطباعة والنشر ، سوريا ، ١٩٨٩ ، ص ٦٢ ، ٦٩ .

(٤) الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص ٧٩

وعندما استقرت هذه الموجات البشرية الوافدة التي لانستطيع تحديدها على وجه الدقة أخذت تمتزج مع العناصر الافريقية الزنجية بدرجات متفاوتة ، وكمثال على ذلك ان اكثر الهجرات التي استقرت في المناطق الشمالية قد طغيت عليها صفات اجناس البحر المتوسط ، اما المناطق الجنوبية فظهرت فيها الصفات الزنجية الافريقية (١) .

وتكلم سكان الشمال الافريقي القدماء بلغة واحدة ولهجات مختلفة وعلى مر الايام اتسعت هوة الخلاف بينهما حتى تعذر التفاهم بين قبيلة واخرى في بعض الاحيان ، ومن المحتمل ان يكون اصلها القديم هو اصل اللغات السامية (٢) ولم يستخدم الليبيون القدماء الابجدية في كتابة لغتهم الا في بداية العصر الفينيقي ولقد وجدت الكثير من نقوشها ولعلهم قد اخذوا هذه الحروف عن الفينيقيين وبالرغم من تشابه هذه الحروف مع الحروف الفينيقية لم يستطع العلماء قراءة هذه النقوش (٣) .

وفي عهد هيرودوت سكنت منطقة طرابلس مجموعة من القبائل نذكر منها قبيلة المكاى (٤) وكانت تقيم على شواطئ خليج سرت بالقرب من مدينة لبدة القديمة والمخلاى (٥) التي كانت تقيم بالقرب من بحيرة ترتيون (شط الجريد الحالية) والجندانيون (٦) وكانوا يقيمون في اقصى غرب الساحل الليبي

---

(١) ايوب ، محمد سليمان ، جرمه في تاريخ الحضارات الليبيه ، الطبعة الاولى ، الناشر دار المصراتي للطباعة والنشر ، طرابلس ليبيا ، ١٩٦٩م ص ٢٣٩ .

(٢) جوليان ، شارل اندرى ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ترجمة محمد امزالى والبشير سلامة ، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ، الدار التونسية للنشر تونس ، ١٩٦٩ ، ص ٧٨ .

(٣) جوليان ، شارل اندرى ، تاريخ افريقيا الشمالية ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(4) Herodtus IV 175.
(5) Herodtus IV 178.
(6) Herodtus IV 176.

وربما كانـوا فرعا من اللوتوفاجي اى أكلـة اللوتس ، بالاضافـة الى الجرمنتيون الذيـن سكنـوا الجنـوب وهم أصحـاب الحضـارة الجرمانيـة [١] .

بدأ سكـان ليبيـا القدمـاء حياتهـم الحضارية كصيادين قبـل ان يعرفـوا الاستقـرار ، وعندما عرفـوا الزراعة جمعـوا بين الزراعة وتربية الحيوان [٢] .

وتدل النقوش التى ترجع الى عصر فجـر التاريخ على أن هؤلاء السكان قد عرفـوا الزراعـة قبل وصول الفينيقيـين الساميين الى الشمـال الافريقى ، فلقـد اظهرت هذه النقـوش صـورة للمحراث مما يدل على معرفتهـم للزراعة ، وعندمـا عرف الفينيقيـون المحـراث ذات السكـه الحديدية كـان سكـان شمـال افريقيـا القدماء لايزالـون يستعملـون الطرق البدائيـة ، ولم يكن محراثهـم سـوى محراث ذى سكه خشبيه [٣] .

ولقد اظهـرت دراسـات علماء النبـات ان القمح الصلب والشعير كانـا مـن النباتـات التى زرعـت فى شمـال افريقيـا قبل وصـول الفينيقـيين كمـا عرف هـؤلاء السكان زراعة الفول والحمص ونحن لانستطيع التأكـد من معرفـة السكـان لزراعة الكرمـة والزيتـون فى الشمـال الافريقـى بينما كانت شجـرة التـين من الاشجـار المفضلـة للسكان المحليين [٤] . الى أن هـذه الاشجـار كانت منتشـرة فى شـرق البحـر الابيض المتوسـط ولهذا يمكـن القول ان الفينيقـيين هم الذين احضروهـا .

واعتمد سكـان المغرب القديم على شـرب لبن المواشى والانتفـاع بلحومهـا وجلودها ، وبالاضافة الى ماسبق فقد كانوا يأكلـون الحلزون والعسل [٥] .

---

(1) Heredtus IV, 183

(٢) جوليان شارل اندرى ، تاريخ افريقيا الشمالية ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(3) Desanges J., General history of africa, "The Prote-Berbers", no.17, II, Printed By Ricard Clay ltd, Bungay, Suffolk, First. Published, Unessco, California, 1981, P. 434

(4) Idem.

(٥) جوليان شارل اندرى ، تاريخ افريقيا الشمالية ، المرجع السابق ، ص ٧٦ .

وقد استطاع العلماء عن طريق دراسة صناعة الفخار معرفة الكثير من عادات وطرق ومعيشة سكان شمال افريقيا القدماء ٠

ولقد وجد ان اشكال الفخار التى عثر عليها فى مناطق مختلفة قد استعملت فى اغراض مختلفة مثل الاطباق الواسطة التى تشبه مايستعمل اليوم فى صناعة الخبز وصناعة انواع الفطائر المختلفة ، بالاضافة الى انواع اخرى من الاطباق التى كانت تستعمل فى تقديم الفاكهة (1) .

وعرف هؤلاء السكان استعمال الاقمشة والملابس المنسوجة (2) .

أما عن النظم الاجتماعية عند هؤلاء السكان القدماء فى الفترة السابقة للمصادر الكلاسيكية فهى نادرة ٠

اما فى نهاية العهود الكلاسيكية وهى الفترة القابلة للعصر الفرعونى فلقد اعتمدنا على ماتركه لنا الكتاب الكلاسيكيون من اغريق ورمان ونقوش وجدت فى مناطق متناثرة على طول المنطقة الممتدة من الحدود الغربية حتى المحيط الاطلسى ، لقد عاش هؤلاء السكان القدماء فى نظام القبلى* تتقارب عاداتها واساليب عيشها ولغاتها ونحن لسنا بصدد الحديث عن كل قبيلة بالتفصيل فأن ذلك لايدخل فى صميم موضوعنا ، ولكننا نتوخى تكوين صورة موجزة وعامة عن سكان شمال افريقيا عامة ، وسكان اقليم طرابلس خاصة منذ بداية العصر الحجرى الحديث حتى وصول الفنيقيون الى شواطئ شمال افريقيا ٠

---

(1) Desanges J., General history of africa Op. Cit P. 435.

(2) Idem

* انظر الاشهب ، رجب عبد الحميد ، محاضرات فى تاريخ ليبيا القديم ، المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٦٩ .

ولقد ترك لنا هيرودوت وصفا مفصلا لهذه القبائل المنتشرة في تلك الربوع وحددها وقسم الليبيين الى قسمين منفصلين وجعل من بحيرة تريتونيس (شط الجريد) حدا فاصلا بين مجموعتين من القبائل المجموعة الاولى وهي التي سكنت هذه البحيرة وسكانها فلاحون وعرفوا حياة الاستقرار اما شرق هذه البحيرة فتسكنه المجموعة الثانية وهم سكان رعاة رحل ولكن حديثنا سوف ينصب على السكان القاطنين شرقي هذه البحيرة حيث اقليم طرابلس[1] .

ونستنتج من ذلك أن سكان اقليم طرابلس القدماء بشكل عام قد عاشوا حياة البدو ومارسوا الرعي ولكن الجزء الشمالي من اقليم طرابلس يعتبر من المناطق الخصبة للزراعة حيث تكثر الامطار كما سبق أن ذكرت وعلى ذلك فأن ماذكره هيرودوت لايعبر عن الحياة الاقتصادية بصورة دقيقة وربما انطبق ماذكره هيرودوت على المناطق الداخلية والجنوبية من اقليم طرابلس حيث مارس السكان حياة البدو من تنقل ورعي الحيوان نظرا لقلة الماء وحيث تسود الصحراء.

ان مانجهله عن التاريخ السياسي للشمال الافريقي بصفة عامة هو اكثر مما نعلمه ولقد ترك لنا بعض المؤرخين مثل جوستين اشارات عابرة الى بعض الملوك الافريقيين الذين وجدوا في شمال افريقيا عند وصول الفينيقيين الى سواحل الشمال الافريقي ، وبالرغم من ذلك فالمعلومات التي وصلتنا عن هؤلاء الملوك لاتكفي لتكوين صورة واضحة عن الاحوال السياسية للمنطقة والتي تشمل منطقة طرابلس في تلك الحقبة الزمنية.ولقد اظهرت لنا البقايا الاثرية قيام ممالك مستقلة في حوالي القرن الرابع ق.م اى انها كانت معاصرة لمدينة قرطاج ولكنها كانت مستقلة عنها[2] .

---

(1) Herodtus IV,
(2) Desanges J., General history of afeica Op.Cit P. 436.

ولاتسعفنا المعلومات التي لدينا في معرفة الاحوال السياسية السابقة لهذه الفترة ، ولعل فؤوس المنقبين سوف تزيد من معلوماتنا في المستقبل ولتعطينا صورة واضحة المعالم عن هذه الممالك القديمة وعن اماكن تواجدها في شمال افريقيا .

وهل كان اقليم طرابلس يشكل جزءا من أي منها ام لا ؟

ولقد كان ملوك هذه الممالك يستعينون بأقاربهم في ممارسة سلطتهم الرسمية ولايستعينون بموظفين رسميين يمثلون تلك السلطة ، وفي اوقات الحروب كانت كل قبيلة تمد ملكها بالجند والفرسان الذين يعتمد عليهم في شن الحروب على القبائل الاخرى وتمتع الجندي القديم في افريقيا بالشجاعة والبأس[1] .

وكانت أسلحة سكان المغرب القدماء في بداية حياتهم الادوات الحجرية والغسران في عصور ماقبل التاريخ ثم تطورت اسلحتهم في خلال اكتشاف المعادن في بداية الاستطيان الفينيقي فأستعملوا الدبوس ثم استعملوا السيف وعرفوا اسلحة الرماية مثل القس والحراب والمزاريق والساكين العريضه واستعملوا درعا من جلد الفيل كوقاية من سلاح العدو[2] .

ان معظم معلوماتنا عن ديانة سكان شمال افريقيا القدماء مستمدة من العصور اللاحقة للعهد الفينيقي والعهد الروماني ولانستطيع الجزم عما اذا كانت تطابق الواقع ام لا ، أم ان تلك الحقائق تختلف عن الواقع نظرا لتغير الزمن وعلى اية حال ليس لنا الا ان نحاول استخراج الحقائق عن الحياة الدينية في تلك الفترة معتمدين على الاستنتاج وعلى محصول الاثريين وماكتبه الكتاب الاغريق والرومان في العصور اللاحقة .

---

(١) جوليان ، شارل اندريه ، تاريخ افريقيا الشمالية ، المرجع السابق ص ٨٢ .
(٢) صغر ، احمد ، مدينه المغرب العربي في التاريخ ، الجزء الاول ، مطبعة العمل ، الناشر بوسلامة ، تونس ، ١٩٥٨ ، ص ٦٣ .

اعتقد سكان شمال افريقيا القدماء شأنهم شأن الشعوب القديمة فى كثير من الاساطير الدينية مثل الجن الذى يسكن الانهار والجبال وعبدوه كما اعتقدوا ان القدرة الالهية تسكن كل مظاهر الطبيعة ومثل الحجارة المستديرة والحجارة ذات الاجزاء الحادة التى نحتتها الطبيعة واخذت شكل الوجه البشرى[1] ، هذا بالاضافة الى عبادة الاشجار[2] وقد عرف الليبيون عباده الهة اخرى مثل الشمس والقمر .

ومارس هؤلاء السكان عبادة اجزاء من الجسم مثل الرأس وخاصة الشعر ويحدثنا استرابون عن الماوريسيين الذين يتجنبون الاقتراب من بعضهم اثناء مشيهم حتى لايختل نظام شعرهم[3] .

اما عن عادات الدفن فقد كانت جثة الميت تدفن على جنبها او منحنية او مطوية وقبل الدفن كان اللحم يجرد من العظام فى كثير من الاحيان وكثيرا ماكانت العظام واللحم تصبغ باللون الاحمر لانها بذلك فى اعتقادهم تعيد الحياة الى الجثة ، وكان الميت يزود بالطعام وبالتمائم لحمايته فى آخرتهم وكانت تقدم له القرابين من الحيوانات وفى بعض الاحيان يقتل احد التوابع ليرافق سيده[4] .

ويذكر هيردوت ان النسمونيين كانوا يستخبرون اجدادهم بالنوم على قبورهم[5] ويقيمون الصلوات ثم ينامون ويعتبرون كل مايأتيهم فى الاحلام وحيا ثم يتبادلون المواثيق بأن يشرب احدهم من يد الاخر فان لم يجدوا سائلا اخذوا من

---

(1) Desanges J., General history of africa op.cit,P.546
(2) Ibid P.437
(3) Straben XVII 3,7.
(4) Desanes J., General history of africa op. cit, P.437
(5) Heredtus IV, 172.

تراب الارض ولعفوه) ولعل وجـود التلال الاثرية (Tumuli) بشكل مصطبة ترجـع الى هذه الظاهـرة ويصف هيرودوت[1] النسمونيـين عندما كانوا يقسمـــون اليمـين وذلك بوضع احد ايديهـم على قبر رجـل صالح " .

ولانريد في هذا المجال التطرق للالهـة التي عبدها الفينيقيون في اقلـيم طرابلـس وقرطاج والتي ربمـا كانت ترجـع الى اصل محلي وسـنعود لمناقشـــة هذا الموضوع في حينه .

---

(1) Herodtus IV, 172.

* انظر الاشرم ، رجب عبد الحميد ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديـم ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

الفصل الثالث

تأسيس المدن الفينيقية في اقليم طرابلس

مجموعة من المستوطنـات الفينيقيـة فى شمال افريقيـا

ان عوامل التوسـع الفينيقـى فى العالم القديم متعددة ومتداخلـة ولكـن ابرزهـا هو العامـل الاقتصادى ٠

نستعرض هذه العوامل استعراضا سريعا ـ عندما استقر الفينيقيون علـى الساحل الفينيقـى تهيئت لهم مجموعـة من الظروف جعلتهـم يندفعـون خـارج هذا الاقليـم وكان وطنهم الجديد يتمتع بمجموعـة من المزايا الجغرافيـة مثل وجـود الخلجـان والفـرض التى تصلح لانشـاء الموانـى والمراسـى فيها ، كما ان اللـه قـد حبـاه بأشجـار الارز على سفـوح جبـال لبنـان التى كان خشبهـا يستخدم فى بنـاء السفـن ٠

زد على ذلك أن الفينيقـيين كانوا ذوى خبرات عاليـة بالنسبة لزمانهم فـى شئـون البحار وربما توفرت لديهـم من قبل أجدادهم الكنعانيـون الذيـن استـوطنوا ساحل البحر الابيض المتوسـط بسبب الظـروف السياسيه [1] ٠ واضطـروا الى التفكـير فى حل للمشاكـل الناتجه عن ذلـك وليضمن لهم سعـة من العيـش فأتجهـوا الى التجـارة البحريـة دون التجـارة البريـة التى كان مـن الصعـب عليهم ممارستهـا لوجـود من سبقهم فـى هذا الميدان (الآراميـون) واحتـاج التوسـع الفينيقـى التجـارى خـارج وطنهـم آنشـاء مجموعـة من المراكـز تعمـل كوكـلات تجاريـة بالمفهـوم الحديث ، ولم تكـن تهدف الـى التوسع الاستيطانـى بل كانت غايتهـا اقامـة روابط اقتصادية مع الشعوب المجاورة ٠

---

(١) يرايس ، ف٠ن ، تاريخ العالم ، الجزء الاول " القرطاجيون وامبراطوريتهم البحرية ترجمة ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، الناشر مكتبة النهضـة المصريـة ، القاهرة ، ص ٢٤١ ٠

لقد مارس الفينيقيـون تجارتهم البحرية منذ نهاية القرن الثاني عشر ق.م حيـث أنشـأوا العديد من المراكـز التجارية في جهات البحر الابيض المتوسط وفـي نطاق بحثنـا هذا يهمنا ان نتعرف على ماهو في نطاق بحثنا وهو ليبيا الحاليه .

ولقد اتسمت تلك المراكز التجارية بأنها كانت تتكون في بداية الامر مـن مجموعـة من جاليات تعيش في حي واحد خاص بها وتمارس نشاطها التجاري ولكـن عندما كانت تلك العلاقـات التجارية تزداد فأن تلك الجاليـات كانت توسع فـي مناطق نفوذها وتنشيء مدنا بأكملها تسـير في الحياة على نفس منوال الحياة فـي بلادهـا الاصليـة [1] .

وقد اتسمت علاقات سكـان تلك المدن التي أنشأها الفينيقيـون مـع السكـان الاصليين بالمـودة والصداقة والتعاون ولقد حافـظ الفينيقيون على تلـك العلاقـات الودية ما أمكنهم ذلك حرصـا على أزدهار تجارتهم .

وكانت سياسـة الفينيقـيين في أنشاء مستوطناتهم تجنب الاصطـدام مـع السكـان الاصليين حتى اذا ما اضطـروا الى ذلك فأنهم كانوا يرتحلـون الى مكـان آخـر ولم يكن ذلك عن وهـن بل أنهم كانوا حريصـين على عددهـم القليـل [2] فلا يعرضونـه الى مخاطـر الحروب لاسيمـا وان النمو الاقتصادي يحتاج الـى منـاخ يسـوده السلام حـتى يزدهر .

---

(١) غلاب ، محمد السيد ، الساحل الفينيقي وظهيره ، دار العلم للملايين الطبعه الاولى ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٤٧٠

(٢) برايس ، ف.ن. المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

عندما بدأت المدن الفينيقيــة فى الحصول على ثــروات شبه جزيرة ايبريــا وبريطانيــا القديمه من المعادن مثــل القصدير والفضة كانت تستخدم السفــن الصغــيرة السريعــة ونظــرا لبعد المسافــة وصغر حجم هذه السفن فأنهــا كانت تســير بقرب الساحــل حتى تتجنــب العواصف والانواء ولهــذا اسســت مراكــز ومحطــات تستطيع أن تلجــأ اليها سفنها عند الشدائــد ، وتتزود فيــها بالماء والطعــام ويحصــل ركابهــا على الراحــة من عنــاء السفــر ، وكان مــن عــادة ملاحيهــا[1] التوقــف عن الابحــار ليلا فيلوذون بهذه المراكــز اذا جن الليـــل ويغادرونهــا صباحا .

ولم تكن هذه المراكــز فى افريقيــا تزيد عــن نقاط صغيرة سكنتها جاليــات صغــيرة من الفينيقيــين لتأديــة تلك الخدمات لابناء وطنهــم ولكن تلك المراكــز لم تلبــث أن اتسعــت فى المساحــة عندما زادت علاقات سكانهــا التجاريــة مــع السكــان الاصليين لتلك المدن واتسعــت فى المساحة وتتابعت الهجرات الى تلك المراكــز فتحولــت الى مــدن واســواق .

ونذكر من تلك المدن قادش على الساحل الجنوبى لشبه جزيرة ايبريـــــا وليكســوس على الساحــل الاطلنطى لافريقيــا واخولا على الساحل الافريقى ايضا[2] .

واغلب تلك المراكــز كانت فى الجزء الشمالى من قــارة افريقــيا ، والذى يشمل الجــزء الغربى من ليبيــا الحالية (اقليم طرابلــس) .

---

(١) ديوريت ، ول ، المرجع السابق ، صـ٣١٣ .

(٢) عصفور ، محمد ابو المحاسن ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م . صـ٦٨ .

ولانعلم الاسباب التي جعلت الفينيقيين يقبلون على اقامة تلك المراكز على الساحل الغربي من ليبيا دون الساحل الشرقي ، بالرغم من القرب الجغرافي الذي يربط بين تلك السواحل وبلاد الفينيقيين في المشرق .

ولاتشير المراجع التاريخية الى أسباب ذلك التفضيل ، ومن المرجح أن المنطقة الشرقية من ليبيا (برقة) كانت تعتبر من مناطق النفوذ الاغريقية ولايعقل أن الفينيقيين كانوا يجهلونها فأن ماذكره هيرودوت عن وحي دلفي ودعوته الاغريق لاقامة مستعمرات في ليبيا يدل على معرفة مسبقة بتلك الشواطىء قبل تأسيس المستعمرات الاغريقية عليها .

وهناك من يرى أن السواحل الشرقية من ليبيا قد شهدت انشاء بعض المستوطنات الفينيقية ولكن لم يكتب لها البقاء لسبب او لاخر ويستشهدون على ذلك باسم برقه نفسه وذلك بأرجاعه الى اصل فينيقي [1] ولكن يظهر لنا جليا ضعف هذا الرأى الذى لا يستند على أى اساس تاريخي أو أثرى فلا الشواهد الاثرية ولا الكتابات التاريخية تشير الى أنشاء مثل تلك المراكز .

ولعل وجود الاضطرابات السياسيه في مصر كانت من اسباب هذا التفضيل وتشير المراجع التاريخية الى ان بداية انشاء تلك المدن الفينيقية على السواحل الشمالية لافريقيا يعتبر بداية العصور التاريخية بالنسبه لتلك المناطق بالمقارنة بالاحوال الحضارية السائدة قبل وصول الفينيقيين اليها [2] .

---

(١) ميره ح ٠ل ، تاريخ العالم ، الجزء الثاني ، " الاثريون والقرطاجيون " ترجمة ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، الناشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ص ٤٩٨ .

(٢) الناضوري ، رشيد ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

بدايــة الاستيطــان الفينيقــي في البحر المتوسط

من غير المعروف على أوجــه اليقين الزمن الذى عرف فيه الفينيقيين السواحل الشماليــة لافريقــيا وسواحل اقليم طرابلــس على الخصوص ويذهب الباحثــــون[1] الى اعتبار بدايــة القرن الثانــي عشــر حتى القرن العاشــر بداية انشاء المراكــز التجاريــة الفينيقيــة ، ولكــن هذا لايعني ان الفينيقيــين لم يعرفوا تلــــــك الســواحــل[2] قبــل ذلك التاريخ والمرجــح انهم قد عرفــوا تلك السواحل قبل هذا التاريخ عندمــا بدأت السفــن الفينيقيــة تجارة الفضــة مع الموانــى الاسبانية واثــر ذلك شهــدت المنطقــة انشاء مجموعة من المراكــز التجاريــة الصغيرة والــــتى لايعــرف تاريخ تأسيسهــا على وجــه اليقــين ، والتى انتشــرت على طول الساحل الشمالى لافريقيــا ولقد عثر على اماكــن بعض هذه المراكــز والبعض الاخر لا يــزال مجهول المكــان .

ولعل اقدم هذه المراكــز كانت أوتيكــا (أى العتيقة) والتى كانت تقع عنــد مصــب نهر مجرده والتى يرجع تاريخ تأسيسهــا الى عام ١١٠١ ق.م.[3] .

قرطاجة اكبر المراكــز التجاريــة في الشمــال الافريقــي :

كانت قرطاجة احد المراكز التجاريــة الصغــيرة التى اسسهــا الفينيقيــــون على الساحــل الشمالى لافريقيا ، ولقد قدر لهذه المدينة ان تتبوأ مركز الصــــدارة بين المدن الفينيقيــة الاخرى فى افريقيا وكان موقعهــا الجغرافى ممتازا مما ادى الى تمتعهــا بالرواج التجارى الذي ساهم مساهمة فعالة فى اتســاع مساحتها وزيــــادة

---

(1) Merighi A..., Op. Cit P6.
(2) Idem

(٣) جوليان ، شارل اندرية ، تاريخ افريقيا الشمالية ، المرجع السابق ص٨٥ .

سكانها حتى تحولت فى نهاية الامر الى عاصمة امبراطورية شاسعة الاطراف فرضت هيمنتها على كل المدن الفينيقية الاخرى فى المنطقة مما سمح لها بالتأثير فى حياة المدن الاخرى فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولقد ساعد على سرعة نمو قرطاجة فقدان مدينة صور فى المشرق لمركزها القديم فى زعامة المدن الكنعانية فى المغرب أثر خضوعها لسيطرة الآشوريين .

ويرجح أن تاريخ تأسيس قرطاجة يعود الى حوالى ٨١٤ ق.م [1] على يد مستوطنين قدموا من مدينة صور .

ولقد عرفت هذه المدينة باسم (قرط _ حدشت) أى المدينة الحديثة باللغة الكنعانية وعرفها الاغريق باسم كرشيدون ، ثم حورها الرومان فأصبح قرطاجة [2].

انشاء المدن الفينيقية فى اقليم طرابلس :

يمكننا ان نقسم المراكز التجارية الفينيقية الى قسمين :
القسم الاول ويشمل المدن الثلاثة الرئيسية وهى أويا _ لبده ، فمدينة صبراته .

أما القسم الثاني فيشمل مجموعة من المدن الصغيرة التى لانعرف عددها على وجه التحديد ذلك لان ماكشف عنه علم الاثار من بقايا هذه المدن هو أقل من القليل ، بل أن المدن الرئيسية الثلاثة لايزال الجزء الاكبر منها مطمورا فى باطن الارض والجزء الاكبر الذى أكتشف يعود الى العصر الرومانى .

---

(١) ايمار ، اندرية وآخرون ، تاريخ الحضارات العام " روما وامبراطوريتها " ترجمة يوسف اسعد داغر ، المجلد الثانى ، الطبعة الاولى ، منشورات ، عويدان بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٤٠ .
(٢) ميرة ج.ل ، المرجع السابق ، ص ٤٩٥ .

أولا : مدينة أويا (طرابلس الحاليـــة)

تحمل مدينة أويا الفينيقيـة القديمـة اليوم اسـم طرابلس وهو محرف مــن الاغريقيـة والكلمـة تتكـون من مقطعـين وهما Tpi بمعنى ثلاثة وبولـــس $\pi o \lambda i s$ [1] بمعنى مدينة ، وعلى ذلك فأن الاسم يعني المدن الثلاث ،أى مـدن اقليم طرابلس الرئيسيـة لبـده الكبرى ومدينة أويـا ثم مدينة صبراته ، ولقد حـل هـذا الاسـم محل الاسماء الفينيقيـة المحلية عقب انتهـاء الحكم الفينيقي وانتقال الاقليم برمتـه الى حكـم الرومـان .

أما الاسم الذى عرفت به المدينه فى العصر الفينيقـى فهواويـا ولايعرف على وجـه اليقـين الاصول التى يرجـع اليها ولقد وجـد منقوشا على النقود الفينيقيـة المستعملـة فى تلك المدينة على شكـل " اويـات " ويطلق عليهـا ستاديزمـــو* اسم ماكاريـا MAXAEIA أى اويا ملكرت ، كما نقش على احـدى قطـع النقـود بـ " أويـات بلاد معكـر " وذكر نفـس هذا الاسم على أشكـال اخرى مثـل " ايـو " عوضـا عن أويـا واستمـر استعماله حتى القرون الوسطى على شكل اياس [2] .

ومن الغريب اننا لانجـد اى ذكر لاسم هذه المدينة فى النصوص السابقـة لميـلاد المسيح ، ولكن ذلك لايدل على عدم وجودها خلال زمـن الحكـــم الفينيقـى [3] .

---

* كتاب اغريقي كلاسيكي لايعرف مؤلفه ولذلك يشار اليه بالكلمة الاولى مـن عنوانـه ولكن اظن ان لها علاقة بـ Stadi اى الواحد القياسى القديم للمسافات واى انه كتاب جغرافى يعنى بالمسافات والاسم Satadiasmus Maris Magni يعنى البحار الكبرى .

(١) باتر ، طه ، لبدة الكبرى ، الادارة العامة للاثار ، ص ١٣ .

(2) Merighi, A., Op, Cit, P.19.

(3) IDEM

أما مكان أويا فالرأي السائد انهم يرجعون الى اصلا بيلاسيجي مثلها مثل قوريني وذلك اعتمادا على نبذه ذكرها سيليوس ايتاليكوس فليس من المستطاع ترجيح أو نفي هذا الرأي نظرا لقلة المعطيات التي يمكن الاعتماد عليها كما يعزى تأسيس اويا اعتمادا على فقرة أخرى هامة ذكرها سيليوس[1] ايتاليكوس ينسب فيها تأسيس المدينة الى مهاجرين صقليين مختلطين بأفريقيين والارجح ان المقصود بصقليين مستعمرين فينيقيين انتقلوا من صقلية وهو الامر الذي يجب ان يكون قد حدث في فترة غير سابقة لبسط قرطاجة لحكمها على منطقة سرت ، أي حوالي مابين القرن السابع والسادس ق.م .

ثانيا : لبـــــدة*

تقع مدينة لبدة عند مصب وادي لبده الى الشرق من مدينة الخمس وهي تعد من أعظم المدن الاثرية في العالم .

أما اسم لبده نفسه فغير معروف الاصل تماما فلقد ورد الاسم منقوشا على النقود على شكل لبكي Lbqy Lppy ولقد ارجعه مولر Muller بعد قراءة الاسم على النقود Lbqy الى اصل لبي كما لاحظ نفس الباحث أن قضية ابدال الحروف بغيرها يعتبر من الامور الشائعة في اللغات السامية هذا اذا اعتبرنا ان اصل الكلمة يعود الى اصل سامي ولقد استنتج الباحث الانف الذكر ان الاسم قد تحول من رسمه الاول الى لبتي Lpti الى رسمه الثاني Lebqy Lábqy الفينيقي[2] .

---

* انظر الخريطة (شكل ٣)

(1) Silius Italicus, Punica, I, Book III 257.

(2) Merighi A, Op. Cit, P. 10.

ولكن الاكتشافات الاثرية اثبتت ان الرسم الاصلى للاسم هو Lepqy ومنه اشتق الاسم اللاتيني Lepcis ولقد اضيف الى الاسم بعد ذلك كلمة (Magna) أي الكبرى تمييزا لها عن مدينة فينيقية اخرى تحمل نفس الاسم شيدها الفينيقيون بالقرب من مدينة قرطاجة وكانت تعرف باسم لبدة الصغرى[1] .

ولا يعرف بشكل قاطع معنى هذا الاسم والمصدر الذى اشتق منه وكل ما قيل حول هذه النقطه ينقصه الدليل القاطع ، ومن الاراء التى قيلت حول ذلك أن اسم المدينه قد اشتق من اسم القبيلة الشهيرة " لواته " والذى حرف بعد ذلك فأصبح " لباته " ويرى البعض الاخر أن الكلمة ترجع الى أصل فينيقى وتتكون من حرف الجر " ل " وأسم " باده " أى بادية فيصبح معنى الكلمة مدينة البادية[2] .

ويحدثنا سالوست[3] عن الظروف التى أدت الى أنشا مدينة لبدة فيذكر ان بعض الجماعات من الفينيقيين قد هاجرت الى الجزء الشمالى من قارة افريقيا يدفعها الى ذلك أكتظاظ السكان فى الساحل الفينيقى وربما دفعت البعض الاخر الرغبة فى التوسع والامل فى الربح التجارى ، ومن أجل هذه الاسباب اسسوا مدينة هيبون Hippo ومدينه سوسه Hadrumet ومدينة لبدة Leptis ومدنا أخرى هذا مايذكره لنا سالوت ، ولكننا لانستطيع الجزم عما اذا كانت مدينة لبدة المذكورة فى هذا النص هى مدينة لبدة الكبرى المقصودة بسبب وجود مدينة أخرى تحمل نفس الاسم كما سبق أن ذكرت آنفا ، هذا بالاضافة الى ان النص لايحدد تاريخا معينا لانشاء هذه المدن .

---

(1) Ibid P.11.

(٢) باقر ، طه ، المرجع السابق ، ص١٤ .

(3) Salluste, Jugurtha, XIx, 10.

وتتمتع لبدة بموقع ممتاز فهي من أخصب المناطق في الاقليم وتغذيها كميات وفيرة من المياه العذبة ، بالاضافة الى كونها ممرا هاما لتجارة القوافل .

ان وجود مثل هذه الميزات الطبيعية في تلك المنطقة أدت ولا شك لايجاد مدينة زاهرة على أنه لايستبعد قيام تلك المدينة على شكل قرية صغيرة قليلة السكان قبل وصول الفينيقيين الى المنطقة ولعل وصولهم اليها ثم انتقالها الى تبعية قرطاجة قد ساهم في ازدهارها الاقتصادي .

اطلق الجغرافيون الاغريق على مدينة لبدة لقب الكبرى لما شهدته من ازدهار ولقد جاء فيما كتبه أحد الجغرافيين الكلاسيكيين استاديزمو ، أن المدينة لم يكن لها ميناء خاص وان على من يريد أرساء سفينته هناك ان يقصد ميناء صغيرا اسمه الهرمايون يقع في الناحية الشمالية الغربية [1] على اية حال فأن الامر بجملته محل شك فلعل المدينة المقصودة والتي ليس لها ميناء هي مدينة لبدة الصغرى وليس مدينة لبدة الكبرى كما ذهب الى ذلك مرغي في كتابه السابق [2] ويرجع سيليوس ايتاليكوس [3] انشاء مدينة لبدة الكبرى الى الفينيقيين من سكان صور كما يرجع سالوت انشاء لبدة الى مهاجرين جاءوا من صيدا عقب اضطرابات سياسية حلت بمدينتهم كما سبق ان ذكرت وهذا الاختلاف بين الكتاب الكلاسيكيين مرده الى خلطهم بين صور وصيدا ذلك لان الكتاب الكلاسيكيين يعنون بمدينة صيدا وصور بشكل عام [4] .

---

(1) Merighi Antonio, Op.Cit,P25.
(2) Ibid P.24.
(3) Silius Italicus, Punica, I, Book III, 256
(4) Merighi Antonio, Op. Cit, P.25

ولكن تأسيس الفينيقيين لهذه المدينه لايبطل افتراض وجود سابق لقرية صغيرة آهله بعدد قليل من السكان وأن موقعها الجغرافي وارضها الخصبة كماسبق ان ذكرت يرجحان وجودها كمركز زراعي لقبيلة المكاي وربما لقبائل اخرى ثم جاء الفينيقيون وطوروا القرية الصغيرة فتكون المجتمع الذى كثيرا مايذكره الكلاسيكيون " ليبيون فينيقيون " نتيجة انصهار العنصرين العنصر الوافد والعنصر الوطني .

اما تاريخ تأسيس مدينة لبدة فقد ارجع الى مستهل الالف الاولى ق . م تقريبا [١] .

ولبدة لم تتحول الى مركز فينيقي بشكل دائم قبل اواخر القرن السادس ومما يثبت ذلك قصة هيرودوت عن محاولة ابن ملك اسبارطه تكوين مستعمرة قرب وادى كمام Cinpe ، كما سبق ان اسلفت ، فعدم ذكر هيرودوت [٢] ، للمدينة يوحى بأنها لم تكن قد تأسست بعد ولوكان الامر غير ذلك لهبت مدينة لبدة لمساعدة قبيلة المكاى لطرد الاغريق منها ، ومع ذلك فأن هذا الرأى لايمكن اعتباره قاطعا فتاريخ انشاء المدينه يشوبه الغموض.

---

(1) Merighi A.[illegible], Op.Cit. P 27.
(2) Haynes D.El, Op.Cit, P 26.

ثالثا : صبراته : *

اما صبراته فهي ثالث المدن الكبرى التي اسسها الفينيقيون على الساحل الغربي لليبيا ، ولقد ورد اسمها بصيغة صبرات Sabrat وصبراتن Sabrathan ويميل الباحثون الى الاعتقاد بأن هذا الاسم يعني " سوق القمح " [1] ومن المعروف أن المنطقة لم تكن شهيرة بأنتاج القمح على مقياس واسع فلايفهم كيف كانت المدينة سوقا لهذا المحصول .

ويظهر ان المدينة كانت تنقسم الى مدينتين الاولى بالداخل وكانت تدفع الضرائب للمدينة الثانية التي تقع على الساحل ، ولقد اطلق الاغريق اسم ابروتونوس Abrotonos على المدينة الاولى وعلى المدينة الثانية التي اعتبرت ميناء للمدينة الاولى [٢] .

كما عرفت المدينة الداخلية بأسم صبرية Sabria محليا ويظهر ان اسم ابروتونوس قد اشتق من الاسم المحلي ثم انتقلت الكلمة الى اللاتينية ومع الفتح الاسلامي فقدت الكلمة مقطعها الاخير [٣] .

وفضلا عن هذا فأن ميناءها لم يكن اكبر موانيء اقليم طرابلس فأتجه التفكير الى تفسير آخر لهذا الاسم (صبراته) فقيل اذا كانت صبراته حقا سوقا للقمح أو للحبوب بصورة عامة فلابد أن القمح أو الحبوب كانت تستورد الى

---

(1) Merighi A., Op. Cit. P 16.

(٢) عيسى ، محمد علي ، مدينة صبراته ، طباعة انتربرينت ، الناشر الادارة العامة للبحوث الاثرية والمحفوظات التاريخية ، ١٩٨٧ ص ١٣ .

(٣) عيسى ، محمد علي ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

* انظر خريطة صبراته الاثرية (شكل ٤)

هذه المدينه وليس العكس ، لربما من بلاد الاغريق الكبرى* واحتمالا مقابل العاج والذهب وريش النعام ولعلها كانت سوقا مخصصة لبيع الحبوب من بيزنكا Bizacena في الجنوب والتي يقصدها تجار منطقة سرت لشراءها منها ، ولكن اذا كانت صبراته سوقا للحبوب المستوردة من اغريقية الكبرى فلايفهم سبب اختيار هذه المدينة بالذات لتجارة الحبوب ولكن الاحتمال الثاني هو انها كانت سوقا للحبوب من انتاج بيزنكا** والارض المجاورة لمنطقة صبراته يبدو اكثر احتمالا (1) ولايستبعد ان تكون ارض منطقة طرابلس تشملها حيث ينتج القمح والشعير بكثرة حتى يومنا هذا .

---

* بلاد الاغريق الكبرى / كانت الاسباب الاقتصادية في بلاد اليونان من الاسباب التي دفعت الاغريق الى البحث عن عوالم جديدة لها فمساحة اراضيها كانت لاتتناسب مع عدد السكان واطراد النمو .
كانت ايطاليا القريبة من بلاد اليونان احد المناطق التي شملها التوسع الاغريقي في البحر المتوسط .
ولا يعرف على وجه اليقين الزمن الذي استقر فيه الاغريق في جنوب ايطاليا في كالابريا حتى كابولي ثم جزيرة صقلية ولكن هذه المنطقة بلغت أوج مجدها في خلال القرن الخامس قبل الميلاد وعرفت في التاريخ باسم بلاد الاغريق الكبرى Magna Graecia ولقد كان لاستقرار الاغريق في الجنوب الايطالي اثر هام في نمو الحضارة الايطالية .

** بيزنكا : أرض زراعية من المعتقد انها كانت تقع في الجنوب التونسي ولاتعرف حدودها تماما .
وربما كانت مجاورة للحدود الليبية الحالية ـ اشتهرت بزراعة الحبوب.

(1) Merighi, A., Op.Cit P.17.

وتشكل اثار مدينة صبراتـه ميدانا ممتـازا فى مجال الدراسات الاثريـة ولكن معظـم الاطلال الاثريـة التى كشفـت والتى تأثـرت بفعل العوامل الجوية كشفـت عن مبادئ واطـلال اثريـة تعود الى العصـر الرومانى ، هذا وقد اسفـرت الحفريـات التى اجريت فى صبراته عن وجود اول مستعمرة تحت المدينة الرومانيـة بين الميدان الرومانى Forum والبحر ، كما وجدت تحت المساكن الدائمة ارضية من الطـين لاكواخ مؤقتـه مما يدل على وجود زمن طويل سابق للعصـر الرومانـى [1] .

واحتلت صبراته كما احتلت المدن الفينيقية الاخرى مركزا اقتصاديـا ممتـازا مكنهـا من الازدهـار السريـع فهى مينـاء تجارى هام ربط بين منطقة غدامـس والسـاحـل من جهـة وبين الجبل والسـاحـل من جهـة اخرى .

وتشـير الحفريات التى أجريت فى موقع مدينة صبراته نفسـه بهدف معرفـة تاريخ أنشـاء هذه المدينة وقد وجدت بها اثار فينيقيـة تمثل مصاطب رملية كانـت اساسـات لاكواخ مـؤقتة [2] ولقـد وجـد فوق هذه المصاطب طبقات سميكة من الرمال مما يشـير الى ان الموقـع ظل مهجورا لفترة طويلة من الزمن .

ولقد وجـد فى تلك المصاطب جرار فينيقيه وقدور اغريقية يعود عهدها الـى القرن السادس والخامـس ق.م [3] ويشير وجود هذه الاكواخ فى مدينة صبراتـه ان المكان لم يتحول الى مدينه بالمعنى المعروف الا بعد القرن الخامس ق.م أى فـى الفترة التى تلت تدخل قرطاجه لمساعدة قبيلة المكاى للعمل على طرد الاغريق الذين حاولوا الاستقرار عند وادى كمام [4] (نهر كنبس) .

---

(1) Haynes, D. EL, Op.Cit P 42.

(٢) عيسى ، محمد على ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٣) عيسى ، محمد على ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٤) عيسى ، محمد على ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

وغالبية المؤرخين تميل الى اعتبارها قد نشأت بعد انشاء مدينة لبـــدة [1] بزمـــن طويل ، وعلى ذلك فأن زمـــن انشـــاء مدينة صبراته غير محقق على وجـــه اليقـــين .

ولقد شهدت المدينة حالة من التوسع بعد السيطرة القرطاجية عليها حيث وجدت مجموعـة من المنازل التي بنيت خارج السور الذى وجدت بقاياه والذى يدل على أنـــه انشـــأ فى العصر الفينيقـــي [2] ومكانه

ويميل الاتجاه الى أن مؤســـسي صبراته كانوا جماعة من التجار الفينيقيين مـــن صيـــدا وصـــور [3] .

مدن اقليم طرابلـــس الثانيـــــة * :

(١) ايبون اكرا ΙΠΠΟΥ ΑΧΡΑ * وهى احدى المراكز الفينيقية الـــتى تقع بعد نصب الفليني فى اتجـــاه الغرب والمعروف اليوم باسم رأس بن جواد ويظهر ان هذا الاســـم تشـــترك فيه مستعمرات فينيقيـــة اخرى ، وعلى ذلك فمن الجائز ان هذا الموقـــع كان موقعا فينيقيا [4] .

(٢) كراكـــس Carax وهو احد المواقع الفينيقيـــة الهامة الـــذى لعب دورا بارزا فى العلاقـــات الاقتصاديـــة بين اقـــليم طرابلس الفينيقى وبـــين اقليم برقة الاغريقى ، فلقـــد عرف موقع كراكس بحركة تهريب نشطة للسلفيـــوم القوريناى مقابل النبيذ الطرابلسى ، ويحتمل أن يكون هذا الموقـــع هو مدينة سرت الاسلامية فى موقع مدينة سلطان او بالقرب منها [5] .

(1) Merighi A., Op.Cit. P 19.

(٢) عيسى ، محمد على ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٣) عيسى ، محمد على ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

* ΑΧΡΑ بالافريقية تعني نهاية أو رأس بالمعنى الجغرافي فمعنى الاسم رأس ايبون

(4) Merighi A., Op.Cit. P 35.

(٥) باقر ، طه ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

ويقع هذا الموقع على بعد ٣٠٠ كم تقريبا من نصب الاخوين الفيليـــني ،
ولقد وصف استرابون الموقع بأنه مركزا تجاريا .

(٣) توريس افرانتيس * Turris Euphrantes ، فمن المحتمل ان يكـون هذا الموقع مدينة سرت الحالية والتي كانت تمثل منطقة الحدود عندما كانت قورينائيـا تحت حكم مصر بين اقليم برقة الاغريقي واقليم طرابلـس الفينيقـي .

وكان لهذا الموقع مينـاء جيـد وقد غمرته الرمال اليوم واصبح غـير قابـل للاستعمـال وتشير المصادر الرومانية في نفس المكان الى ماكوماديـس سيرتي أو ماكوماديس مايوريس[1] Macomades Syrtis Macomades Maiores والاسم يعني المدينة الجديدة ولعل الموقع قام على انقاض القرية القديمـة التي ربما كانت قصر الزعفـران حاليا[2] وبمـا ان هذا الاسـم فينيقـي فهو يقيم الدليل بصـورة غير مباشرة على استعمال اللغة الفينيقية في العصر الرومانـي .

(٤) ماكوماكا Maconca وتعني بالفينيقيـة نفس المعنى السابق ان المدينة الجديدة وموقعها قرب تاورغـاء الحاليـة[3] .

وهذا الموقع كان له اهمية تجارية كبيرة وتذكره المصادر باسم ΤΑΡΙΧΕΙΟΝ تاريخية[4] وتعود اهميته الاقتصادية الى كونه احد الاماكن التي تمـارس صناعة تجفيف وتمليـح السمـك .

---

* تعني كلمة Turris البرج فالاسم اذا برج افرانتيس

(1) Merighi. A., Op.Cit P.36.

(٢) روسي ، آنوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى ١٩١١م ، ترجمة خليفة محمد التليسي ، دار الثقافة ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص٣٠ .

(٣) روسي ، آنوري ، المرجع السابق ، ص٣٠ .

* تعني بتخفيف أو تمليح من الفعل

(4) Merighi A., Op. Cit. P 37.

(٥) كفالي * KEφολαι تمثل هذه المنطقة اقصى نقطة غربية لسرت الكبرى اى رأس مصراته وكانت من الموانى الفينيقية التى لعبت دورا هاما فى التجارة استنادا الى الفخار الذى وجد فى المنطقة وكذلك استنادا للعملة النوميدية التى عثر عليها قرب كفالى [١].

(٦) غرافارا بولس Γραφαρα Πολις يمثل هذا الموقع اسم مدينة تقع على بعد يوم بحرا من مدينة لبده ولها ملاسيان ويبدو ان اسم هذه المدينة القديمة استمر حيا فتمثل فى اسم مدينة رأس جفاره وقصر جفارة وقصر بنى خيار الحالتين [٢].

(٧) زوخيس Ζουχις zouxis وحرف الى Ζεχαρις ** ومثل هذا الاسم مدينة تقع على بحيرة واسعة ربما كانت بحيرة البيبان [٣] او نفس اسم المدينة وكانت تشتهر بصناعة الارجوان والسمك المجفف [٤].

هذه بعض المراكز الفينيقية ذات الاهمية الثانوية وهناك الكثير من المدن الفينيقية فى اقليم طرابلس مازلنا فى انتظار الكشف عنها.

---

* كفالى الكلمة بالاغريقية رأس

(١) اندشية ، أحمد ، محمد محمد ، تاريخ اقليم طرابلس السياسي والاقتصادي في العصر الروماني في ٢٧ ق.م الي ٣٥م رسالة ماجيستير ١٩٨٩ . ص ١٠٢ .

(2) Merigi A., Op.Cit, P.38

** زوخيس معنى هذه الكلمة بالاغريقية هو (زوج) اى اثنان لعله للدلالة على المدينه والميناء.

(٣) روسى ، اتورى ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(4) Merighi A, Op.Cit P.38.

بعض المواقع والمقابر الفينيقية في ليبيا :

ولقد وجدت بعض المواقع والمقابر الفينيقية في ليبيا والتي عثرت عليها مصلحة الاثار.

(١) عثر في غرب مدينة صبراته في منطقة (ملبتا) على اواني فخارية .

(٢) كما عثر في منطقة سانية القدح في عام ١٩٦٦ على اواني فخارية بعض الزجاجات التي تستعمل لحفظ رماد المتوفى .

(٣) وفي عام ١٩١٢ تم العثور في منطقة سيدي الهدار على مجموعة من المقابر بلغ عددها ٣٩ مقبرة وعثر بها على اواني نحاسية وفخار[1] .

(٤) وفي شرق مزده (حوالي ٥ كم) عند منطقة وادي العمود عثر على مقابر عليها بعض الكتابات الفينيقية .

(٥) اما في منطقة وادي سوفجين تم العثور على عملات تحمل اسماء فينيقية .

(٦) وجدت في جرمه في الجنوب الليبي بعض المقابر الفينيقية .

(٧) وادي مروم مقابر المسله وهي تعود الى مابين ٥٠ق.م ٨٠م عليها بعض الكتابات الفينيقية .

(٨) عثر في بير جبيرة على مقابر فينيقية الاسلوب كما وجد عليها كتابات فينيقية وقد وجدت بداخلها بعض الاواني الفخارية الرومانية .

(٩) كما عثر في وادي الاجرام على بعض المقابر .

(١٠) ولقد وجد في وادي كعام الى الشرق من مدينة لبدة على خزنات مياه تعود في اصلها الى الفينيقيين ولكنها استخدمت في الفترة الرومانية المبكرة .

(١١) وفي عام ١٩٥٨ عثر على مجموعة من المقابر المتشابهة في شكلها العام وتكاد تكون خالية من البقايا الاثرية في منطقة جنزور الاثرية[2] وهي تمثل المقابر الرومانية .

---

(١) ابوحامد ، الصديق ، والنمس ، محمود عبد العزيز ، مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفينيقي حتى العصر البيزنطي ، طباعه انتربرنت ، امانه التعليم ، مصلحة الاثار ليبيا ، ص ٣٥

(٢) النمس ، محمود عبد العزيز ، دليل منطقة حفائر جنزور الاثرية ، الناشر امانه التعليم ... ص ١٠

المقابر وعادات الدفن :

كانت المقابر الفينيقية في اقليم طرابلس مقابر عائلية رباعية الشكل يتراوح عمقها بين مترين ونصف الى مترين تقريبا وكان الميت يوضع على الارض نائما على ظهره يداه على صدره او على اسفل بطنه وفي بعض الاحيان توضع في يده قطعة من العملة وكان الميت يزود باثاثة الجنائزي الخاص ويوضع حول رأسه وعند قدميه وكان متنوعا ويشبه الادوات التي يستعملها الميت في حياته اليومية ، مثل الجرار الكبيرة كانت تستخدم لتخزين السوائل المختلفة بالاضافة الى بعض قوارير العطور ومجموعة من الاطباق المتنوعة الحجم والشكل وبعض المصابيح والمباخر وبعض ادوات الزينة والمرايا البرونزية والدبابيس ومجموعة من العقود والاساور والفصوص والخواتم [1] .

ولعل هذه المقابر تعود الى عليه القوم وذلك حسب مانعرفه واتبعت فيها طرق الدفن الفينيقية وقد استمر استخدام هذه المقابر حتى الفترة الرومانية التي استعملت فيها طرق الدفن الرومانية وهي طرق حرق اجساد الموتى .

واذا درسنا لمدينة لبدة وصبراته واويا من الناحية المعمارية سوف تقودنا الى دراسة الاخرجه حيث عثر في منطقة المدن الثلاثة وماحولها على مجموعة منها ارتبطت بعبادة الموتى [2] .

ففي عام ١٩٦٢م كشف عن ضريح *بونيقي وشرع في عملية ترميمه وهو يعد نموذجا لفن البناء الفنيقي في ليبيا في مراحلة الاخيرة ويظهر من خلال دراسة هذا البناء انه يمثل عناصر محلية في طراز البناء بالاضافة الى التأثيرات الهلنيته [3] والرومانية الذى يعود الى ٢٥٠ / ٢٠٠ ق.م

---

(١) النمس ، محمود عبد العزيز ، المرجع السابق ص ١٤
(٢) عيسى ، محمد على ، المرجع السابق ، ص ٢٦-٢٧
(3) Vita.A.D.Libya In History Historical Conference 16/23/March 1968(The Mauseleu Of Sabratha P.P.117/136.
* انظر صورة الضريح البونيقي (الصورة ٢)

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية في اقليم طرابلس في العصر الفينيقي

الاسـرة والزواج والطفولـــة

مما يؤسـف له اننا لانملـك اية معلومـات حول هذا الموضوع بالنسبة لمـدن اقليم طرابلـس ولذلك فنحـن سنعتمـد على ماذكـر في هذا الصدد حول مدينـة قرطاجـة لعلها تعطينـا صـورة صادقـة الى حدما ولكنها ليسـت دقيقة حـول هذا الموضـوع.

ان ماوصلنـا عن مركـز المرأة في قرطاجـة يدل على وجود احترام خاص لهـا فالقاعـدة العامـة عنـد الرجـال هو الاكتفـاء بزوجـه واحدة اذ عثر على كثير مـن القبـور التي تحـتوى عظـام الزوجين ، هذا بالاضافـة الى ان النساء في قرطاجـة كـن يحصلـن على ثقافة واسعـة وكـن يشتركـن في الانشطـة الاجتماعية وخاصـة السياسيـة والدينيـة [1] وفـي الحقيقـة ليـس لدينـا معلومـات موسعة عن المرأة القرطاجيـة ، وذكـر غزل [2] امرأتـين لهما دورا كبـير في قرطاجـة وهمـا " سفونيسـا واسـتروبـال " زوجـة آخر قائد قرطاجي ولم يذكر سواهما .

وكان الرجال والنسـاء على السـواء يزينـون معاصمهـم بالاساور والدمـالج الثقيلـة ولعـل هذه العـادة قد انتقلـت الى القرطاجيون من الافريقيين وعلى ذلك فلا يستبعـد انتقالهـا الى مدن اقليم طرابلس ايضـا [3] .

(1) Gilbert Etcolette C.P., Daili Life in Carthage Translated From The France by A.G.Foster, Ruskin House, George Alken And Unwin Ltd, First Published, London, P. 128.

(2) Gsell, Histoire Ancienne De L'afrique
من كتاب لغزل منقلا عن غونية ما ، ب ماضي شمال افريقيا ، المرجع السابق ص ١٠٢ . ولم يذكر رقم الصفحة ولا الجزء الذى نقل عنه)

(٣) مصروعة ، جورج ، حنيمبل ، الجزء الثاني ، مطابع سيميا ، دار المكشوف بيروت ، لبنان ، ص ٣٠٢ .

لم يثبت حتى الان ان سكان اقليم طرابلس كانوا يمارسون التضحية بالاطفال ـ ولعل ذلك يرجع الى ان سكان المدن في الاقليم لم يكونوا بالكثرة التي تحتم التخلص من بعض اطفالهم ـ وفي هذا يكون الدليل على درجة الرفاهية الاقتصادية التي كانوا ينعمون بها اذا صدق الرأي [1] الذي يذهب الى ان الدوافع الى التضحية بالاطفال كان قديما وسيلة لتخفيض العدد الفائض من السكان ودفع مسبغة .

التكويـن العرقـي :

من المتعذر التحدث عن التكوين العرقي للسكان في مدن اقليم طرابلس الفينيقية بشكل قاطع رغم علمنا أن سكان هذه المدن يرجعون بطبيعة الحال الى العنصر الفينيقي ، ان معلوماتنا تكاد تكون معدومة حول الصفات الجسدية لسكان تلك المدن ذلك لان ماوجد من بقايا الهياكل العظمية في المقابر الفينيقية في الاقليم لم تدرس دراسة كافية حتى الان من قبل الآثريين ، يتعذر بالتالي الحكم على تكوين اصحابها العرقي حكما قاطعا .

وكان من المستطاع تكوين صورة صادقة الى حد ما عن الصفات الجسدية لسكان اقليم طرابلس اذا ماقورنت بصفات سكان مدينة فينيقية اخرى مثل قرطاجة اكبر المدن الفينيقية على ساحل شمال افريقيا لولا ان دراسة الهياكل البشرية التي وجدت في قرطاجة قد اظهرت أن اغلب سكانها الفينيقيين ينحدرون من أسلاف افريقيين بل حتى من زنوج في بعض الاحيان .

(1) Gilbert et Colette C. P. , Op.Cit P.149

فاذا كانت قرطاجة قد تغلب فيها العنصر الافريقي على العنصر الفينيقي من باب اولى ان تكون مدن اقليم طرابلس وهي الاقل سكانا من قرطاجة قد تأثرت بأختلاط العنصرين فتغلب احدهما على الاخر اما اختلاط العنصرين فكان امرا ضروريا بالنسبة للمؤسسين الفينيقيين فما كان لهم ان يستغنوا عن الاستعانة بالليبيين في تسيير دفة الحياة الاقتصادية لقلة عددهم بالنسبة للسكان الاصليين ، بيد ان التغلب العرقي الافريقي لم يتبعه تغلب اللغة الاصلية للسكان على لغة الوافدين بل العكس كان الصحيح ، وهذا امر طبيعي ، ذلك لان الفينيقيين كانوا يألفون الطبقة الحاكمة صاحبة القرار والتنفيذ والمسيطرين على جميع نواحي النشاط في المدينة من تجارة وزراعة وشتى المعاملات فكانت اللغة المستعملة في التخاطب والامور الرسمية اللغة الفينيقية بطبيعة الحال وكان لابد لهذه اللغة ان تنتشر بين السكان الاصليين ايضا حتى يتمكنوا من قضاء مصالحهم خاصة بين من كانوا يسكنون في المدينة او بجوارها ويرتبطون بأعمال يومية معها ربما ورجع السبب في تفوق اللغة الفينيقية الى ما جبلت عليه الشعوب من التقليد للشعوب الغالبة وهم ارقى ثقافة كما كان الفينيقيون بالنسبة للسكان الاصليين .

خلاصة القول ان ماتقدم يوحي بأن الفينيقيين كانوا على الدوام قلة بالمدن الفينيقية بأقليم طرابلس كما كانوا في قرطاجة ذاتها فأنجذب اليهم السكان الاصليون اذ كانوا اقل ثقافة ، وتفاعلوا معهم فأدى الامر الى الاندماج بين العنصرين على المدى الطويل حتى ان السواد الاعظم منهم كانوا يدعون بأنهم فينيقيين ولعل المصاهرة وتشابه اللغة الكنعانية السامية بلغة السكان المحليين السامية - الحامية كانا عنصرين فاعلين في عملية الاندماج - ولعل كل هذا يفسر لنا ايضا لماذا اظهر فحص الهياكل العظمية التي عثر عليها بقرطاجة ؟ ان اصحابها كانوا منحدرين من اسلاف افريقيين بل حتى من الزنوج [(1)] .

---

(1) Gilbert et Colette C.-P. , Op.Cit P.126.

اللغـة واثرهـا على السكـان

من الممكن القـول ان اللغة التي تكلـم بها السـكان الفينيقيون عند وصولهم الى شمـال افريقيـاهي الفينيقية في المشـرق وهي لغـة ساميـة كماسبق ان ذكـرت ولعل مرور الزمـن قد غير الى حد مافي اللغـة الفينيقية المستعملـة فـي شمـال افريقيـا فأصابهـا شيء من التحريـف[1] واتجهـت الى تكوين لهجـات مختلفة عـن اللغـة الاصليـة في بلاد فينيقيـا حـتى اصبحـت تعرف باسـم اللغة البونيـة * تميزا لها عن اللغـة الفينيقيـة القديمـة وبمـا ان مدينـة قرطاجـة كانـت فـي المدن القديمـة والمعاصـرة اقليم طرابلـس فقد استطاعـت ان تفرض سيطرتهـا السياسيـة والاقتصاديـة عليهـا فأدى ذلك الى قيـام تفـوق ثقافـي تأثرت به لهجه مدن طرابلـس الفينيقيـة ولعلها ادت كذلـك الى قيام علاقـات اجتماعية اخـرى بين هذه المدن وبين قرطاجـة مثل المصاهـرة[2] بين سكان المدن وقرطاجـة .

ولغة قرطاجـة لغة فينيقية متأثرة بلهجة مدينة صور وهي المدينة التي يعتقـد انها اسسـت مدينة قرطاجـة الا ان لهجتها اخذت مع مـرور الزمن في التغيـير واصابهـا التحريف في النطق من حيث تلفظ بعض الحروف اما القواعد الاصليـة للغـة والفردات لم يصبهـا الا تغير طفيف لايكـاد يذكر . وكمثال على هذا الاختلاف نجد ان حـرف الالف اصبح يميل الى الضمة " أو" وحرف (O) الافرنجية فصـارت فـي البونية (OU) الافرنجية . هذا بالاضافـة الى ان الحروف الحلقيـة مثـل الحـاء والقاف قـد اصبحت تنطق بشكل مخفف حتى كـادت تزول من اللغة الفينيقية المستعملة في قرطاجـة[3] .

---

(١) جوليان ، شارل اندري ، تاريخ افريقيا الشمالية ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .
(٢) غوتية ، أ.ف ، ماضي شمال افريقيا ، المرجع السابق ، ص ٩١ .
(٣) مصروعة ، جورج ، المرجع السابق ، ص ٣٠٢ .
* كلمة بونيقي او بونية جاءت بعد مزج بين الحضارة الفينيقية الاتية في الشرق وحضارة السكان الاصليين فسميت الحضارة بالبونيقية للتميز وليس اللغة فقط .

ومن المرجح ان هذا التغيير في اللهجة قد اصاب مدن اقليم طرابلس الفينيقية ايضا ، ولكن يتعذر الجزم بذلك ، كما يتعذر تحديد مدى التغيرات التي اصابت اللهجة المستعملة في اقليم طرابلس ان كانت قد حدثت ، ومن المعتقد ان هذه التغيرات التي اصابت لغة قرطاجة والتغيرات التي اصابت مدن طرابلس كانت ترجع الى مؤثر واحد وهو اختلاط القادمين الجدد بالسكان الاصليين ووجود تأثيرات لغوية متبادلة وعلى ذلك فانه من الممكن القول انه يجوز أن تكون التغيرات اللغوية التي اصابت لغة قرطاجة هي نفس التغيرات التي اصابت اللغة الفينيقية المستعملة في المدن الفينيقية لاقليم طرابلس.

وعلى اية حال فمن غير المستطاع البت في هذا الامر بشكل قاطع مالم تتوفر مجموعة كبيرة من النقوش الفينيقية سواء في قرطاجة ومدن طرابلس ثم تتم بعد ذلك المقارنة بين النقوش في الطرفين وهو امر لم يحدث حتى الان.

عندما زالت قرطاجة من الوجود نتيجة لصراعها مع روما تركت تراثا ثقافيا كبيرا كانت اللغة احدى عناصره.

ومن المعلوم ان زوال قرطاجة من الوجود لم يتبعه زوال اقليم المدن الفينيقية الاخرى وعلى ذلك استمر استعمال اللغة الفينيقية في قرطاجة وفي المدن التي كانت تابعة لها بل وتعداها الى المناطق التي كانت تتبع قرطاجة وكانت اللغة البونية - كما عرفت اللهجة الفينيقية المحرفة عن لغة فينيقيا في المشرق والمستعملة في شمال افريقيا اللغة الرسمية للممالك المحلية التي قامت بعد ذلك مثل المملكة النوميدية .

ولقد ظلت اللغة البونية مستعملة في مدن طرابلس حتى بعد سقوط قرطاجة فظهر اثر ذلك في الكتابات التي وجدت على بعض الآنية الفخارية التي تجمع فيها بقايا الانسان المحروق بعد وفاته والتي عثر عليها في مدينة لبده (1).

ومن الغريب ان اللغة الفينيقية عندما اخذت في الزوال من شمال افريقيا قد زالت من مدينة قرطاجة نفسها بينما بقيت مستعملة في مدن اقليم طرابلس كما ذهب الى ذلك رومانلي وهو رأي مقبول بالرغم من غرابته ويظهر ان الاستاذ السابق ذكره استمد هذا الرأي من الشواهد الاثرية وهي خير سند .

ولقد عرف سكان شمال افريقيا انفسهم بأنهم فينقيون وكانت اللغة الفينيقية هي السائدة بين جميع طبقات الشعب بالرغم من انتقال هؤلاء السكان الى حكم الرومان .

بل لقد سمحت السلطات الرومانية للسكان المحليين في اقليم طرابلس بأستعمال اللغة الفينيقية في الكتابات الرسمية (2) ولكن هذا لم يدم طويلا اذ لم يمنع امتياز استعمال اللغة الفينيقية بعد عهد تيبريوس (3) * .

---

(1) Romanelli. P. ..., Libya in History Historical Conference 16-23 March 1968" La Tripolitania nel Quadro Dell' Archeologia Nord-Africana" Universty Of Libya Faculty Of Arts P.134.

(2) Mommsen, T. ..., The Povinces Of The Roman Empire, Translated By William.P,Dickson D.D, IId Vol 2, Ares Publishers Inc, Chicaho. P. 327

(3) Idem

(١٤ - ٣٧ م م)

* تيبريوس : امبراطور روماني ولد سنة ٤٢ ق.م خلف الامبراطور اغسطس، واقتفى اثر سياسته من اهم اعماله تنظيم الضرائب في الولايات .
اتخذ من جزيرة كابري مقرا له وعاش فيها حياة عابثة ومن المرجح انه فقد قسواه العقلية في سنوات حياته الاخيرة . نقلا عن الموسوعة العربية الميسره .

ولكن بالرغم من ذلك ظلت اللغة الفينيقية مستعملة في جهات متناثرة في الشمال الافريقي ، وكان رجال الدين المسيحيون والمبشرون يضطرون الى استعمالها للتفاهم مع بني وطنهم ، فظلت عادات السكان والاسماء والتعابير فينيقية ويظهر لنا بمرور الوقت أنها اصبحت اللغة المستعملة ادنى مستوى[1] واقرب الى اللهجة العامية ولم تعد لغة المثقفين كما يعبر عن ذلك في عصرنا هذا .

وفي القرن الخامس الميلادي عندما بدأ المبشرون المسيحيون يفدون الى شمال افريقيا ظهر القديس اغسطينوس* وكان احد ابناء المغرب الفينيقيين واسقفا لمدينة هيبون بالقرب من الجزائر (المدينة) ورغم ثقافته اللاتينية فكثيرا ماكان يلجأ الى استعمال الفينيقية حتى يكون مفهوما لسامعيه .

ويذكر القديس اغسطينوس ان الفلاحين في شمال افريقيا كانوا حين يسألون عن اصلهم يجيبون بأنهم شنائيون أي كنعانيون بلغتهم فهم بذلك كانوا على ادراك بأصلهم الفينيقي [2] .

---

(1) Ibid P. 328.

* القديس اغسطين : هو احد اعلام المسيحية في شمال افريقيا ولد عام ٣٥٤م في مدينة تاجست (سوق احراس في الجزائر الحالية) تقلب في بداية حياته بين الوثنية والمسيحية ولكن الامر انتهى به الى اعتناق المسيحية بتأثير امه مونيكا الشديدة التمسك بالمسيحية حتى انها اعلنت قديسة بعد وفاتها . درس في بداية حياته في مادورا ثم في قرطاجة حيث تعلم البلاغة والنطق وبعد دخوله المسيحية اعتزم دخول سلك الرهبنة وتدرج فيه من كاهن بسيط الى رتبة مساعد اسقف فأسقفا على ابرشية هيبو.
عاش حياة زهد وتقشف في خلال الفترة الثانية من حياته عندما اعتنق المسيحية .
ومن اهم مؤلفاته الاعترافات والثالوث الاقدس وهي دراسات في الديانة المسيحية والفلسفة تأثر فيها بمذهب الافلاطونية الجديدة .
اما كتابه مدينة الله فتعتبر اهم واول مؤلفاته في فلسفة التاريخ .

(٢) غوتيه أ.ف ، المرجع السابق ، ص ٩٦ .

ويرجح ان اللغة الفينيقية في شمال افريقيا قد استمرت حتى العهد البيزنطي ولعلها بقيت في المناطق الريفية فقط (١) ، وفي بداية القرن الثالث الميلادي كان البيت العريق والثرى في لبده لايزال يستعمل اللغة الفينيقية بين افراده بينما تستعمل اللغة اللاتينية والاغريقية كلغة التعامل الرسمية (٢) ، بل ان الكثير من الشخصيات التي برزت في مدن اقليم طرابلس في العهد الروماني كانت ترجع الى اصول فينيقية او على الاقل الى اصول مختلطة ، رومانية فينيقية مثل الامبراطور سبتيموس سيفيروس* .

وفي خلال القرن الاول الميلادي كانت المنشورات الرسمية تنشر في لبده الرومانية باللغتين اللاتينية والفينيقية ولم تحل اللاتينيه محل الفينيقيه في كتابه هذه النصوص الا في القرن الثاني الميلادي (٣)

---

(١) غوتيه أ٠ف ، المرجع السابق ، ص٩٦ .

(2) Mommsen T., Op.Cit.P.328.

* سبتيموس سيفيروس : هو احد مشاهير الاباطرة الرومان ولقد اختلف حول اصله ومن المرجح انه يعود الى اصل فينيقي ليبي .
ولد في مدينة لبده يوم ١١ ابريل ١٤٦ ق٠م وتلقى تعليمه الابتدائي في لبده وانتقل بعد ذلك الى روما لدراسة القانون .
تقلد عدة مناصب هامة منذ حداثه سنه فمارس المحاماة في روما ثم اصبح عضوا في مجلس الشيوخ الروماني ثم تقلد وظيفة بروقنصل واثر موت الامبراطور السابق استطاع الوصول الى الحكم عن طريق تاييد الجيش له .
واثر توليه مقاليد الحكم اولى مدينه لبده مسقط رأسه اهتماما خاصا فشهدت المدينة توسعا كبيرا في تشييد المباني .
خاض خلال فترة حكمه عدة حروب فقد استطاع فتح منطقة مابين النهرين حيث جعلها ولاية رومانية جديدة ، وعقب وفاته خلفه ابنه كاراكلا مكونا الاسرة السويرية التي حكم عدد من ابنائها الامبراطورية الرومانية .

(3) Perkins, J.B W. ?, Libya In History Historical Conference 16-23 March 1968 " Pre-Roman Elements In The Architecture Of Roman Tripolitania" P.103

ان مصدر اللغة الفينيقية كان مدينة قرطاجة التى طغى اثرها اللغوى على المناطق المجاورة ومنها منطقة ترهونه فى اقليم طرابلس والتى استعملت فيها اللغة اللاتينية جنبا الى جنب مع اللغة الفينيقية الجديدة بلهجتها الافريقية التى عرفت باسم البونية (1) * .

ومعظم سكان المدن سواء فى العصر الفينيقى او بداية العصر الرومانى يرجعون الى اصول فينيقيه ولذلك فأن لغتهم كانت فينيقية .

اما اللاتينية بالاضافة الى انها اللغة الرسمية فأنها كانت لغة الموظفين والجنود والتجار الذين يرجعون الى اصل رومانى .

اما المناطق الداخلية فكان كل سكانها من الليبين الذين يتحدثون الليبية الى جانب الفينيقية بحكم تأثرهم بحضارتها . أما اللاتينية فأنها بقيت بعيدة عن استعمال السكان فالحكم الرومانى لم يصل الى الصحراء وحتى المناطق التى وصل اليها الرومان لم تتغير لغتها الاصلية أى الليبية مثل منطقة طرابلس وجزيرة جربة (2) .

وعلى ذلك نستطيع ان نقول ان اللغة الفينيقية استمرت فى التداول فترة زمنية أطول من المدة التى بقيت فيها مجموعة المدن الفينيقية فى الشمال الافريقى كمدن فينيقية مستقله واستمرت فى التداول حتى بعد سقوط هذه المدن فى يد الرومان بعد خضوع قرطاجة لروما .

---

(1) Romanelli, P. ..., Libya In History Op.Cit P.155.

* البونية : كلمة بونيقى تحريف لكلمة فنيقى اطلقه الرومان على سكان شمال افريقيا الذين ينحدرون من اصول فينيقيه للتفرقة بينهم وبين السكان الفينيقيين فى المشرق .

واطلق الرومان ايضا على اللغة التى استعملها الفينيقيون بشمال افريقيا اللغة البونية على اساس انها تختلف عن اللغة الفينيقية في المشرق من حيث اللهجة .

(2) Mommsen T. , Op.Cit P. 326.

وكان زوال اللغة الفينيقية عن شمال افريقيا بشكل عام زوالا تدريجيا حتى حلت اللغة اللاتينية محلها هذا اذا افترضنا ان اللغة الفينيقية قد زالت تماما ولم يبقى لها اثر.

ويقول غوتيه في كتابه ماضي شمال افريقيا ان انتشار اللغة الفينيقية في شمال افريقيا وهي لغة سامية قد مهد الطريق لانتشار العربية بعد ذلك ولعله يفسر لنا سر انتشار العربية السريع في شمال افريقيا [١].

تركت اللغة الفينيقية في شمال افريقيا بعد زوالها بعض الكلمات الفينيقية في اللهجة العربية في اقليم طرابلس وتونس [٢]. ولعل هذه الكلمات اوالمفردات قد دخلت في اول الامر في لغة السكان المحليين ثم اصبحت جزءا منها ثم دخلت العربية بعد ذلك وكونت جزءا من اللهجة المحلية والموضوع لايزال يحتاج الى دراسة لغوية خاصة.

ان استعمال اللغة الفينيقية حتى القرن السابع الميلادي في قرى ومدن تونس الساحلية ومدن اقليم طرابلس مهد الطريق للعربية ولعل سكان المغرب الحاميين والكنعانيين الساميين قد ادركوا دون شعور منهم أنهم يرتبطون بالسلالة واللغة بعضهم ببعض اكثر من ارتباطهم بالشعوب الاوربية [٣] مثل الاغريق في الجزء الشرقي من ليبيا.

---

(١) غوتيه ، أ . ف . المرجع السابق ، ص ٩١ .

(2) Races, A., A History Of The Colonization Of Africa, Cooper Square Publishers, Ing, 1966 P.40.

(3) Idem.

وعمل الرومان على نشر اللغة اللاتينية في اقليم طرابلس ولكن رومنة اقليم طرابلس وتحويله الى اقليم روماني يتحدث اللاتينيه لم يكن بالشيء الذي يمكن احداثه في فترة وجيزة من الزمن فلم يكن من السهل على اللغة اللاتينية ان تتغلب على انتشار اللغة الفينيقية والليبية والدليل على ذلك ان اللغة الفينيقية ظلت مستعملة في الاقليم لفترة طويلة من الزمن في اثناء الحكم الروماني نفسه بل ظلت مصاحبة للغة اللاتينية فترة طويلة من الزمن وهناك من يذهب الى انها لم تزل بل تحولت من لغة رسمية الى لغة دارجة ثم انصهرت في اللهجات المحلية وتركت اثارها فيها وليس من السهل معرفة ذلك نظرا لان اللغة الليبية واللغة الفينيقية ترجعان الى اصل سامي واحد .

وكانت العقود التي تكتب بالفينيقية في القرن الثالث الميلادى تعتبر صحيحة امام القانون (١) .

وبالرغم من ظهور مجموعة من الادباء والكتاب من اصل افريقي كتبوا وتكلموا بالاتينية مثل القديس اغسطين وغيره الا ان اللغة اللاتينية لم تكن لها جذور قوية فسرعان ما اندثرت وحلت محلها العربية التي تمت الى لغة السكان الاصليين بروابط متينة كما سبق ان اشرت الى ذلك.

---

(١) لزوورت ، م . ب تشارلز ، الامبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزى عبده جرجس ملزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦١م ص ٧٥ .

الاسمـاء الفينيقيـة :

تتألف كثير من الاسماء التي عثر عليها في قرطاجة من اسم الاله ، وهو بعل ، مسبوق بصفة من صفاته مثل " ازدروبال " و " حنابعل " وهي في جملتها لاتختلف عن الاسماء التي استعملها الفينيقيون في المشرق .

ولقد استعملت هذه الاسماء في اقليم طرابلس كما تدل على ذلك البقايا الاثرية ولقد عثر على هذه الاسماء في العصر الروماني عندما بدأ التمازج بين الرومان والفنيقيين وفي مدينه لبده وجد تمثال من الرخام الابيض لاحد مواطنين تلك المدينة كتب عليه اسم صاحبه وهو " حنوبعل روفس " ويظهر لنا ان الاسم الاول ،فينيقي وهو من الاسماء الشائعة في قرطاجة ايضا ، اما الاسم الثاني فهو روماني (١) .

الديانة الفينيقية في مدن اقليم طرابلس :

ان ديانة المدن الفينيقية في اقليم طرابلس هي نفس ديانة قرطاجة التي هي بدورها نفس الديانه الفينيقية في بلادها الاصلية .

لقد حمل المهاجرون الاوائل من بلاد فينيقيا لغتهم ومظهرهم المميز لهم ، ثم دياناتهم بمافيهم آلهتهم التي ترجع الى اصول سامية .

ولم تلبث آلهتهم السامية ان امتزجت بماوجدوه من آلهه محلية واندمجت فيها وتكونت ديانة فينيقية محلية هذا بالاضافة الى مؤثرات اجنبية مثل المؤثرات المصرية والاغريقية ثم رومانية في نهاية العصر الفينيقي .

---

(١) النمس ، محمود عبدالعزيز ، ابوحامد ، محمود الصديق ، دليل متحف الاثار بالسراي الحمراء ، انجاز الدار العربية للكتاب ، الادارة العامة للبحوث والمخطوطات التاريخية بمصلحة الاثار طرابلس ١٩٧٧م ص ١٦٩ .

واصول الديانة الفينيقية في منطقة طرابلس هي نفس ديانة قرطاجة كما تدل على ذلك القرائن من البقايا الاثرية التى عثر عليها في تلك المدن ومن اشهر الالهه التى عبدت في قرطاجة تأنيت * بنتبعل ويرجح ان هذه الالهة افريقية الاصل ولاتزال شخصيتها غامضة [1] ، بل اننا نشك حتى في الطريقة الصحيحة لنطق هذا الاسم ولعلها كانت الهة السماء والقمر والعذراء [2] المعروفة لدى الفينيقيين بعشتروت كما عرفوها بأسم آخر وهو اسطرطه كما عرفها الاغريق باسم هيرا زوجة الاله زيوس وعرفها الرومان بأسم جونوسيليتيس [3] .

ولقد اختلف المؤرخون في اصل هذه الالهة ولعلها الهة افريقية الاصل عبدها الليبيون في العهود السابقة لوصول الفينيقيين ، فلما وصل الفينيقيون الى الشمال الافريقي وجدود تشابه بينها وبين الهتهم السامية عشتروت.

وبالاضافة الى صفات تأنيت السابقة عرفت ايضا بالهة الانتاج والخصوبة والتناسل والحصاد وكثيرا مانحتت لها تماثيل على شكل سيدة ترضع طفلها [4] .

وكان رمز تأنيت - الذى كثيرا ماكان ينحت على الاحجار النذرية والاوانى الفخارية والحلى واشرعة السفن - يتألف من ثلاثة اجزاء وهى مثلث يمثل البدن وخط افقى ينتهى طرفاه بشكل اليدين ودائرة تمثل الرأس [5]

---

* حول هذا الموضوع الاثرى ، رجب عبد الحميد " محاضرات في تاريخ ليبيا القديم " المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(١) جوليان ، شارل اندريه ، تاريخ افريقيا الشمالية ، المرجع السابق ص ١١٩ .

(2) Babelon, J E.An, Encycolopedia Britanica Vol 4 Item Carthage Constition And Religion P. 946.

(٣) صفر احمد ، المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٤) الناضورى ، رشيد ، للمرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

(٥) صفر احمد ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .

وتدل الحفريات التي اجريت بأحدى مدن اقليم طرابلس وهي صبراته في منطقة رأس المنفاخ في عام ٧٤ ـ ٧٥م على أن الالهة تأنيت* تمثل احدى الالهة الاساسية التي عبدت في المدينة [١] .

واذا كانت هذه الالهة افريقية الاصل فلعلها قد عبدت في بقية مدن طرابلس ولقد عثر على رمز هذه الالهة [٢] على عدة احجار نذريه في وسم بارز في اقليم طرابلس.

واذا صح ان اصل تسمية هذا المعبود يعود الى اصول افريقية فأننا لانستبعد صلتها بالديانة المصرية القديمة نظرا لما نعرفه من وجود علاقات دينية مع مصر ووجود كثير من الالهة المشتركة بين مصر وليبيا والتي لانعرف اصلها تماما مثل الاله آمون وغيره هذا بالاضافة الى رجوع المصرية القديمة والليبية الى اصول واحدة وهي الحامية ولكننا لانأخذ بهذا الرأى بشكل قاطع فالاعتماد على التقارب في النطق لا يعطينا الدليل القاطع والدراسات اللغوية في هذا الميدان ان تعوزها الدقة والدليل القاطع فأذا كنا قد عرفنا قدرا كبيرا من اللغة المصرية القديمة فأننا لانعرف الا شذرات قليلة من اللغة الليبية القديمة لاتكفى للمقارنة بين الطرفين .

هذا والتشابه في النطق قد يكون من باب الصدفة البحته ولا يفسر على اساس لغوى فنحن لانستطيع تحديد الاصل الذى تعود اليه هذه الالهة هل هي نيت المصرية مثلا ؟؟ أم هي نايت المصرية [٣] .

---

* تم اكتشاف تانيت من قبل الاثرى جاكومو كبوتو ١٩٣١ (انظر الصورة ١)

(١) عيسى ، محمد على ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) عيسى ، محمد على ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣) حسن ، سليم ، مصر القديمة ، الجزء الاول ، مطبعة كوثر ، ١٩٤٠م القاهرة ص ١٢٠ .

أما اكبر ا لهة قرطاجـة (بعل خامين) الذى يرجع انه يتكون من اندماج آله افريقـى مع احد الهـة قرطاجة وهو " ال" *.

أما السم الافريقى فلا نعرف اصلـه على وجه الدقة بل انتلفظ الاسم غـير معروفـة بالشكل الدقيق ايضـا بعل حامون او بعل عامون.

ولقد اعتبر عدد من المؤرخـين ان ثمة صلة بين هذا الاله والاله آمون اعتمادا على الادلة والشواهد الاثرية التى وجدت فى منطقـة طرابلس مثل المعبد الذى وجد فى رأس الحداجية [1] بالقرب من ترهونـة ، ويظهر ان الليبيـين قد تأثروا بعبادة الالـة آمون المصرى ، والذى كـان معبـده الاصلى فى واحة سيوة (واحة آمـون) ولعلـه انتشـر فى كل الشمـال الافريقى ، ولعل واحـة سيـوة كانت المصـدر لتلك العبـادة فى شمـال افريقيـا .

هذا كما وجدت على ساحـل سرت محله تعرف باسم امونيكـلا واخرى تعـرف باسـم امونوس او امونيـس ، كما وردت فى الخرائط الرومانية وبالاضافة الى هذا يوجد حاليـا فى بنغـازى موقع يدعى تـل آمون (الطهلمون) [2] .

ومن المعروف ان رمـز الاله الفينيقى فى قرطاجـة كان الكبـش وهو فى هـذا يشبـه الالـه المصرى آمـون [3] .

---

* آله سامى انتشرت عبادته فى معظم بلاد الشام القديمة ، بين شعوبه المختلفه بالاضافة الى عبادته فى شبه جزيرة العرب القديمة ايضا والذى ربما تطور بعـد ذلك الى اسـم اللـه .

(١) باقر ، طه ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢) عبدالعليم ، مصطفى ، دراسات فى تاريخ ليبيا القديم ، الطبعة الاهليـة الناشر الجامعة الليبيـة ـ بنغازى ـ ١٩٦٦م ، ص ٤٥ .

(٣) عبدالعليم ، مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٤٦ .

ولقد عثر في جهات متفرقة من ليبيا على رسوم لاكباش مقدسة رسمت على رؤسها اقراص الشمس ولكنها تختلف عن رسوم الاكباش التي وجدت في مصر[١] ، هذه هي آراء الذين يميلون الى اعتبار هذا الاله ذا اصل مصري ، اما اصحاب الرأي الاخر ونذكر منهم شارل اندرية جوليان ، فيرى ان هذا الاله ليس له صلة بالاله المصري آمون ويعتقد ان التسمية (حاميم) تعني سيد الانصاب[٢] .

اما الاسم الاول من هذا الاله فيرجع الى اصل فينيقي بعل فهو من الالهة المعروفة من بلاد فينيقيا الاصلية وكثيرا ماذكر اسمه منفردا في قرطاجة منقوشا على بعض الاحجار[٣] ويعني السيد اوالرب ولقد استعملت الكلمة عند كثير من الشعوب السامية بمافيي ذلك اللغة العربية ووردت في القرآن الكريم بمعنى الزوج ويظهر ان القادمين الاوائل من الفينيقيين في شمال افريقيا قد وجدوا تشابه بين الههم واله السكان الاصليين ومع مرور الوقت تم اندماج الالهان في صيغة واحدة فأصبح يعرف باسم بعل حامون .

وهذا الاله القرطاجي بعل حامون رغم تغيره واندماجه مع آله افريقي فانه لم يزد عن كونه آله فينيقي تغير اسمه الاصلي وشعاره .

ولقد وجدت في سوسة (تونس) صورة يعتقد انها تمثله حيث يظهر ملتحيا يرتدي جبه طويلة ويلبس على رأسه تاج اسطواني الشكل وبيده رمح وهو جالس على عرش ووضع على كلا جانبيه أبا الهول ويظهر انه قد صور على شكل الاله الفينيقي " أل "[٤] . وبالاضافة الى صفاته الجسمانية فقد كان يعبد بنفس الطريقة

---

(١) الناصوري ، رشيد ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .
(٢) جوليان ، شارل اندري ، تاريخ افريقيا الشماليه ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .
(٣) صفر ، أحمد ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .
(٤) جوليان ، شارل ندريه ، تاريخ افريقيا الشماليه ، المرجع السابق ، ص ١١٩ .

التي عبد بها في بلاد فينيقيا حيث كانت تقدم له الاضحية البشرية من الاطفال والتي ربما استبدلت في بعض الاحيان بتقديم بديل من الاضحية الحيوانية ويظهر انه نفس الاله ملوخ وهو في نفس الوقت يعتبر (ملقارات) أي سيد المدينة كما يظهر ذلك في المدن الفينيقية في بلاد المشرق[1] .

ولقد اسفرت الحفريات الاثرية في مدينة صبراته عن وجود مقبرة فينيقية ولكنها خاصة بدفن اواني فخارية تحتوي على عظام القرابين المحروقة[2] وضعت هذه القرابين في جره واحدة او جرتين دفنت في التراب ووضع عليها شاهد من الحجارة . ولقد استنتج من ذلك انها بقايا من القرابين البشرية التي تقدم الى الآلهة الفينيقية ولكن دلت الحفريات التي وجدت في صبراته في منطقة رأس منفاخ على أن هذه القرابين لم تكن بقايا عظام بشرية بل تبين بعد التحليل انها تحتوي على عظام ماعز .

ولقد ذكر الاله ملوخ في كثير من الكتابات المنقوشة على الاحجار النذرية في قرطاجة والتي ذكر لنا هـ . س[3] كاوبر في كتابه مرتفع آلهات الجبال في خلال رحلته التي قام بها في منطقة طرابلس والتي تجول فيها خلال خرائب منطقة الغرابة بعض النقوش التي كتبت بالحروف الرومانية بطريقة متقنة وقد عثر على لوحة كتب عليها Primo-Mallo وبما ان هذه اللوحة قد كتبت بالحروف اللاتينية فنرجح انها تعود الى العهد الروماني والكلمة وهي Mallcol فقد تكون " مولك بعل " وهو اسم كاله الشمس في بلاد الشام وشمال افريقيا . اما الكلمة الثانية وهي Primo فقد تكون ذات علاقة بأسم رامانو الاله العواطف الاشوري كما ذهب الى ذلك الكاتب السابق ذكره واذا صح ذلك فأن هذا

---

(١) حتي ، فليب ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
(٢) عيسى ، محمد علي ، المرجع السابق ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(٣) كاوبر هـ . س ، مرتفعات آلهات الجبال ، ترجمة انيس زكي حسن ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

الاله ملوخ او بعل حامون يكون قد عبد في منطقة طرابلس ايضا ، وهو احتمال منطقي ، وقريب الى الواقع لاتصال منطقة طرابلس بمنطقة قرطاجنة التي عبد فيها ذلك الاله .

هذا بالنسبة لعبادة هذا الاله في منطقة طرابلس اما بالنسبة لموضوع تقديم القرابين فأن عدم وجود بقايا جثث اطفال محروقة في منطقة طرابلس يقيم الدليل على عدم وجود هذه العادة وكما ان ما ذهب اليه كاوير من وجود خرائب بنيب فيها معابد [1] بها اماكن لتقديم الضحية التي لانعرف نوعها تماما هل هي ضحية بشرية ؟ ام ضحية حيوانية ؟ يشكك في عدم وجود هذه العادة .

ولانستبعد ان آلهة فينيقية اخرى قد عبدت في المنطقة ولكننا لانجد لها ذكر في الحفريات التي اجريت حتى الآن في المنطقة .

ومن المحتمل ان بعل حامون احتل [2] مرتبة عالية بين الالهة فأصبح ملك المذابح التي يحرق لها البخور في المعابد التي لم يكن ينقطع دخانها المتصاعد من شمعدانات عالية او محرقات فخارية .

عثر في مدينة صبراته على تمثال يظهر لنا احد المؤثرات الدينية الخارجية وهو تمثال الاله الفينيقي المصري (بيس) .

(١) كاوير ، هـ . س ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ .
(2) Gilbert Et Colette C. P. Op. Cit P.131.

وبطبيعة الحال فنحن لانستبعد وجود هذا التأثير المصرى فى اقليم طرابلس خاصة بعد العثور فى مدينة قرطاجة على مؤشرات مصرية أخرى كالتماثيل التى وجدت لبعض الالهة المصرية مثل هاتور واوزيرس ، ونحن لانستطيع ان نحدد الاثر المصرى الدينى فى منطقة طرابلس بشكل خاص فالحفريات الاثرية فى اقليم طرابلس ناقصة ولعل المستقبل سيأتى لنا بالجديد فى هذا المضمار فطالما وصلت المؤثرات المصرية الى قرطاجة فليس من المستبعد وصول هذه المؤثرات لمدن طرابلس الفينيقية وهى الاقرب الى مصر من الناحية الجغرافية .

وبالاضافة الى ماسبق فأن الديانات والالهة التى عبدت فى الشمال الافريقى وحوض البحر الابيض المتوسط قد تداخلت واثر كل منها فى الاخرى حتى بات من الصعب تحديد أثر اى منها على الاخرى .

عندما وصل الفينيقيون الى الشمال الافريقى وخاصة اقليم طرابلس تداخلت بعض من الالهة الافريقية الليبية مع الالهة الفينيقية التى اتى بها اصحابها من بلادهم الاصلية و خاصة عندما وجد الفينيقيون ان كثيرا من هذه الالهة تتقارب مع آلهتهم فى الصفات .

وعندما فقدت هذه المدن استقلالها السياسى وانتقلت الى ايدى الرومان حدث نفس الشىء فقد لبست الالهة الفينيقية اثواب الالهة الرومانية رغم اختلاف الاصل بين الطرفين الرومانى والفينيقى ، ولكن يظهر ان ذلك قد تم لاغراض سياسية اكثر منها لاغراض دينية فمن المعروف ان حكم الرومان لشمال افريقيا بصفة عامة كان حكما سطحيا لم يؤثر تأثيرا كبيرا فى شعوب المنطقة من الناحية اللغوية ولقد اراد الرومان احتواء السكان الاصليين والتقرب منهم فأوجدوا ذلك التشابه بين الالهة المحلية سواء كانت من اصل فينيقى او افريقى فى سبيل تقارب سياسى بين روما ومستعمراتها ، ولقد نجحت روما فى سبيل ذلك الى حدا ما فأن الطبقة الارستقراطية فى مدن اقليم طرابلس والتى كانت كلها

من أصل فينيقي بعد ت المعتقدات الليبية والفينيقية القديمة واصبحت تدين بآلهة رومانية مثل منيرفا وجونو وغيرها ، هذا بالاضافة الى بقاء عبادة بعض الالهة الشرقية مثل ايسس واوزيرس[1] .

هذا بالنسبة للطبقة الفينيقية التي تداخلت مع الرومان وثقفت بالثقافة الرومانية اما عامة الشعب فقد استمر في عبادته القديمة .

وعلى هذا الاساس عبدت الالهة الرومانية مع الالهة المحلية جنبا الى جنب ولقد عثر في منطقة رأس المناخ في منطقة صبراته على لقيات مختلفة بعضها ترجع الى اصول فينيقية " بونيقية "[2] .

ولقد اتخذت بعض الالهة القرطاجية مثل تانيت الطابع الروماني وهنا يجب ان نذكر ان الالهة الرومانية قد نقل الكثير منها عن الاغريق وبذلك تكون الالهة الفينيقية والالهة الرومانية والاغريقية والمصرية ايضا قد عبدت جنبا الى جنب وان كانت الالهة السامية الفينيقية والالهة الليبية قد ظهرت بأسماء رومانية او مترجمة عن الفينيقية كما أن اسماء ووظائف الكهنه كانت فينيقية او منقولة عنها ولقد ظل ذلك حتى القرن الثاني الميلادي عندما بدأت هذه الظواهر الدينية في الاختفاء[3] .

ومن المرجح ان الديانة الفينيقية القديمة قد ظلت تتركز خارج مدن اقليم طرابلس بينما الديانة الرومانية تركزت في المدن الثلاث الرئيسية .

---

(١) عيسى ، محمد علي ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .
(٢) عيسى ، محمد علي ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(3) Perkins J.B W., Libya in History, Op.Cit
P. 103.

وبالرغم من ان الرومان لم يجبروا السكان المحليين على تغيير ديانتهم الا انهم عملوا على فرض ديانة رومانية أخرى وهي ماتعرف بأسم عبادة الاباطرة وذلك على اساس انها دين الدولة الرسمي وفي الحقيقة انه لم يحدث الا في حالات نادرة أن عبد الامبراطور ابان فترة حكمه على اعتبار انه آله حقيقي (١) .

ولعل الغرض الاساسي من هذه الديانة هو غرض سياسي بالدرجة الاولى حيث يهدف الى العمل على الحفاظ على وحدة الامبراطورية بشتى لغاتها واجناسها بما في ذلك اقليم طرابلس وحتى يكون رمزا على وحدة الامبراطورية وخضوعها للامبراطور (٢) على انه يمكن القول بصورة عامة انها لم تبق على ماكانت عليه ايام كانت المدن الفينيقية خالصة وفي بداية الحكم الروماني .

الاساطير

حمل القرطاجيون الوافدون الى اقليم طرابلس تجار ومزارعين من وطنهم المعتقدات الدينية التي جاء بها اجدادهم من صور قبل ذلك مقرونة بالتقاليد الموروثة التي يحيطها الناس عادة في كل زمان ومكان بهالة من الخرافات منسوبة الى الدين وماهي من الدين في شيء - ومن جملة هذه الخرافات حمل معهم الفينيقيون ولاشك الخوف من الجن (٣) ، فالجن عندهم بصورة عامة كامن في كل مكان على أهبة الاستعداد لتسليط قواه الشريرة على اى منهم كما كانوا يؤمنون بأن العين الحسوده تجلب الشر على من تتسلط عليه ومازال هذا

(١) لزوورت ، ب تشارلز ، المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٢) لزوورت ، م ، ب تشارلز ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(3) Gibert Au Colette C. P., op. cit P. 125.

الاعتقاد فى وطننا العربى وشتى بلاد العالم وهناك صورة السمك [1] ، تحمل لمقاومة العين الحسود . وكان الفينيقيون يرسمونها لتلك الغاية على الالواح الحجرية على الالواح الحجرية والرومان يرسمونها بالفسيفساء ، ويرد ذكر السمك فى بعض الامثال الشعبية المتداولة فى اقليم طرابلس وبرقة وغيرها من البلاد ومن منا فى واقع الامر لايذكر " الحوتيه " المثبته على صدور اطفالنا لتقيهم شر العين ثم هناك " يد فاطمة " [2] وهو تميمه طبق الاصل ليد بعل التى يعثر عليها على بعض الالواح الحجرية ولعلها " الخمسة " او الخمسية فى بلاد شمال افريقيا – وهناك الهلال الذى كان احد شعارات الالهة الافريقية " تانيت " والذى يرجع الى عهد قرطاجة .

وكان القرطاجيون يصنعون التمائم التى سبق ذكرها والاقنعة لعلها بقصد طرد الارواح الشريرة [3] ، وقد وجد الكثير من قوالبها فى قرطاجة ولعلها كانت احد الطقوس الدينية التى نقلوها عن الافريقيين بيد انه لم يعثر عليها فى اقليم طرابلس ، فربما عثرنا عليها فى حفريات جديدة .

ولعل الدراسات الاجتماعية فى الشمال الافريقى وخاصة فى اقليم طرابلس والجزء الشرقى من تونس الحالية تكشف لنا عن المزيد من التراث الاجتماعى الذى انتقل من السلف الى الخلف وخاصة العادات التى كانت منتشرة فى المجتمعات فى العهد القرطاجى بشكل خاص.

---

(1) Idem

(٢) غوتية . إ .ف . المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٣) الناضورى ، رشيد ، المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

الوشـــــم :

مارس سكان قرطاجة الوشم ومن غير المعروف ان هذه العادة مازالت تمارس اليوم فـي كل من تونس وليبيا وفي مجتمعات عربية اخرى وفي بلاد مختلفة من العالم ولعلها تعود الـى اصول ليبيـة قديمـة [١].

ولم يكن الفينيقيون في شمال افريقيا يعتبرون الوشم زينة فحسب بل كانوا ايضا يعزون اليها ميزة دينية [٢] وهي الحماية من الاثار الشريرة ، وكانوا يستدلون منه على ان الشخـص حاملة تابع لطريقة دينية خاصة .

الختـــان :

من غير المعروف اين نشاء طقس الختان في القدم انما يعلم هو ان اغلب الشعـوب عرفته ومارسته ماعدا الشعوب الهندية الجرمانيه والمغول ، مارسه المصريون منذ اربعة الا ف سنه قبل المسيح فهناك في معبد سقارة صورة بارزة تمثل غلاما وراءه رجلا ممسك بذراعيه وامامه كاهن منحني يجرى له عملية الختان .

يعتقد المصريين قد اخذوا بعض اللافريقيين في حين اخذه عن المصريين الشعوب السامية شرقا وافريقيا غربا ومنهم ليبيا ماعدا الليبو وكان المصريون يقطعون اعضاء التناسل بالقتلى منهم في حين كانوا يقطعون ايدى القتلى في التمحو والتحنو والمشوش وهؤلاء كانوا يمارسـون عادة الختان [٣].

كان الختان في الاصل يرمز الى ان المختون داخل دين اباءه واجداده وانه فـي الغالب اصبح مندمجا في المجتمع الذى هو منه .

كان الفينيقيون مثلهم مثل سائر الساميين يمارسون الختان وجاءوا بطقوسه معهم من صور الى قرطاجة بيدان عزل [٤] يرى ان الفينيقيون في شمال افريقيا قد تركوا هذه العادة ويستدل على ذلك بعدم وجود لذكره في النصوص القديمة ويبدوا لنا ان هذا الرأى ضعيف وذلـك لان غياب ذكره في النصوص القديمه لايقوم حجة يأخذ بها على ان الختان قد اهمل لاسيمـا وان قدماء الليبيين الذين عاش الكنعانيون معهم كانوا يمارسونه .

---

(١) الناضوري ، رشيد ، المرجع السابق ، ص ٢٧٨
(2) Gilbert Et Colette C.P, OP. CIT P. 154
(٣) عبدالعليم ، مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٤٠ ، ٤١ .

العمـــــارة

المدن والمنـازل والشـــوارع :

ان اول ظاهرة نلاحظها فى كل مدينة فينيقية هو وجود سور يحيط بها تزين بواباته البرونزية نقوش تمثل انتصارها على غيرها من المدن [١] .

ومانعرفه عن مواد البناء التى استعملها الفينيقيون فى بلادهم الاصلية انها مـواد بسيطة وقليلة ولكنها قوية ويغلب على مدنهم ضيق طرقها وتلاصق منازلها بعضها ببعض وعند زيادة سكانها كانت المنازل ترتفع الى عدة طوابق فى بعض الاحيان [٢] .

ولقد حدث مثل ذلك فى مدينة قرطاجة حيث كانت الابنية ترتفع فى بعض الاحيان الى ست طوابق خاصة فى الحى التجارى اما مدن اقليم طرابلس فلا يعلم شىء عن اتساع شوارعهـا وارتفاع منازلها لان ابنية العصر الرومانى قد اخفت اثار العصر الفينيقى ولكننا نستطيع ان نقول ان ابنية من طرابلس فى العصر الرومانى قد احتوت ملامح شرقية وغربية فى طراز البناء ولعـل الملامح الشرقية التى وجدت فى هذه الاثار قد انتقلت فى العصر الفينيقى الى العصر الرومانى هذا بالاضافة الى ان المواد الاولية التى استعملت فى هذه الابنية كانت شرقية [٣] ونستطيـع ان نضيف الى ذلك ان اثار الابنية الفينيقية فى شمال افريقيا بمافى ذلك قرطاجة نفسها الـتى تحمل عناصر محلية مضافا اليها تأسيرات اغريقية [٤] والمصنوع فى جملته لايزال فى حاجة الــى دراسة من الناحية الاثرية للوصول الى نتائج اكثر دقة بالنسبة الى مدن اقليم طرابلـــس .
اما المنازل فلقد عثر فى قرطاجة على مجموعة من المنازل التى تمثل الشكل العام للمنزل الفينيقى القرطاجى وهى بسيطة التكوين خالية من الزخارف الهندسية مبنية من الطين والطوب على اساس من الحجارة وتغطيها طبقة من القار لتمنع تسرب الماء ومن المرجح ان مدن اقليم طرابلس كانت مبينة على نفس النسق خاصة انها لم تنشأ فى اول عهدها لتكون مقرا دائما لساكنيها اما الشوارع فنرجح انها كانت نفس الشوارع التى استخدمت فى العصر الرومانى وهى شوارع ضيقة شأن جميـع الشوارع فى المدن القديمه ولعل اتساع شوارع مدن اقليم طرابلس هو نفس اتساع شوارع هـذه المدن فى العهد الرومانـى .

---

(١) الاثرم ، رجب عبدالحميد ، الحضارة الفينيقية فى المغرب العربى المرجع السابق

(2) Straben 23, 13, 2, 76.
(3) Remanelli P, Libya In History OP. Cit, P. 130.
(4) Perkins J.B.W. Libya In History OP. Cit P. 105

الملابس :

كان القرطاجيون والسكان المحليون في اقليم طرابلس يرتدون جلبابا فضفاضا بدون حزام واسعة تأخذ شكل الرأس طاقيه تبدأ من فوق الجبهة وكان الجلباب وهو عبارة عن رداء صوفي طويل يظهر انه يعود لبلاد النهرين وهو في الاحوال العادية يحمي من برد الشتاء وحرارة الصيف[1] وكان القرطاجيون ينتعلون في اقدامهم الصنادل او النعال السميكة [2] وهل وصل استعمالها الى اقليم طرابلس ام لا .

وهناك نوع اخر من الملابس انتشر في شمال افريقيا وهو الذي يعرف بالرداء القبرصي وهو عبارة عن كساء داخلي طويل من الكتان تعلوه طبقات من الاردية الخارجية التي تتدرج عرضا وقصرا ، وهو يرجع الى حوالي القرن السادس[3] ق . م وظل هذا الرداء مستعملا طوال السبع قرون ويتضح لي ان هناك علاقة تربط بين مدن اقليم طرابلس بقبرص والا كيف يتم استخدام هذه الالبسه القبرصيه طيلة هذه القرون السبعة بمعنى ذلك ان هناك علاقات مكثفة بين الطرفين ، ويمكن معرفة الالبسه من المخلفات الاثرية التي عليها الرسومات المنقوشه على شواهد القبور ، واذا قبلنا بما استنتجه غوتيه [4] في كتابه السابق ذكره من ان التباين في الملابس في قرطاجة دليل على تباين الحضارات التي اثرت في قرطاجة مثل التأثير المحلي والتأثير الفينيقي بالاضافة الى هذا الاستنتاج فأن مدن اقليم طرابلس قد مرت بنفس هذه التأثيرات وعلى ذلك فأنها عرفت نفس انواع الملابس التي عرفتها قرطاجة على وجه التقريب ، فالتأثيرات الافريقية سواء في الملابس او في الديانة تركت بصماتها في كل سواحل

---

(١) جوليان ، شارل اندرية ، تاريخ افريقيا الشماليه ، المرجع السابق ص١١٧ .
(2) Gibert Et Colette C. P., Op.Cit.P.155.
(3) Idem.
(4) Gilbert Et Colette C. P., Op.Cit.P.159.

الشمال الافريقي اما عن التأثيرات المحلية فمن المعروف ان سكان اقليم طرابلس كانوا اصليين او وافديين يعدون الى أصل واحد بعيد فالعلاقة بين الساميين والحاميين معروفه كماسبق ان ذكرت.

التعلـــــــيم :

ان ماوصلنـا من معلومـات عن التعليم في اقلـيم مدن طرابلس يكاد يكـون معدوما ، ولكـن بالمقارنـة بمالدينـا من معلومـات حول التعليم في شمال افريقيا في العصر الرومانـي والتعليم في قرطاجـة نفسهـا قبل العصر الرومانـي يمكـــن القاء بعض الضـوء على اسلـوب التعليم المتبع في اقليم طرابلس.

كانت الدراسـة في قرطاجة قبل العصر الروماني واثناء الفترة الفينيقية تبدأ بتلقـين الطفل مبادىء القراءة والحساب وحالما يحصل الطفل على المبادىء الاولى للتعليم حـتى يلتجـىء الى التدريب العملـي مثل ممارسـة التجارة ومن المحتمـل ايضـا وجـود فرع آخر من التعلـيم وهو التعليم الديني الذي يخص ابنـاء الكهنه حيث يدرسـون خلالها التوراة الكنعانية * بالاضافة الى الخرافـات والطقـــوس الدينيـة التي انحدرت اليهم من الاجيال السابقـة (1) .

اما التعليم في قرطاجة في خلال العصر الرومانـي فكان يبدأ بتلقين الطفل مبـادىء القراءة والحسـاب ايضـا ، حتى اذا بلغ ســن معين أرتحل مـن القريـة الى المدينـة قاصـدا احد مشاهـير اساتذتها ليتتلمـذ على يديه .

---

* التوراة الكنعانيـة :
لاحظ المؤرخون وجود تشابه كبير بين اناشيد اخناتون صاحب ديانة التوحيـد في مصر وبين بعض مزامير التوراة فدفعهم ذلك الى الاعتقاد بوجود عنصر مقتبس في كتاب العهد القديم ويشتمل هذا الاقتباس على قسم آخر مقتبس عن الاناشيد الدينيـة الكنعانية التي كانت تتلى في المعابد الكنعانية ، ولقد اصطلح على اطلاق اسم التوراة الكنعانية على هذا العنصر الكنعاني المقتبس في كتـــاب التوراة .

(1) Ibid P. 152

وكانت البلديات تحرص على جلب اشهر المدرسين الى مدارسها والتي يمكن ان تطلق عليها تجاوزا جامعات ، هذا عن نظام التعليم في العهد الروماني[١] .

وفي هذا المقام يجب علينا ان نذكر التأثيرات الثقافية الاغريقية حيث بدأت في تلك الفترة وخاصة في العهود المتأخرة في تاريخ قرطاجة والتي استمرت حتى العصر الروماني والتي تتمثل في دراسة اللغة الاغريقية في مدارسها قرطاجة بل وصل الامر الى اعتبار الاغريقية لغة الثقافة في ذلك العصر ، حتى ان القائد حنابعل نفسه كان ذا ثقافة اغريقية[٢] .

أما بالنسبة الى مدن اقليم طرابلس فنستطيع ان نقول ان نظم تعليمها في العصر القرطاجي وخاصة في القرن الخامس ق.م عندما قويت قبضة قرطاجة السياسية على المدن الفينيقية في شمال افريقيا كانت نفس النظم القرطاجية في التعليم بشكل عام وخاصة الاتجاه نحو التدريب العملي فالعنصر الفينيقي كان عنصر يميل الى التجارة والحياة العملية وبطبيعة الحال فأن عنصر السكان في اقليم طرابلس كان نفس العنصر القرطاجي كما أن التأثيرات الاغريقية يحتمل انها شملت اقليم طرابلس حيث ان الثقافة كانت قد شملت كل ساحل الشمال الافريقي تقريبا ، فأنتشار اللغة الاغريقية في الشمال الافريقي كان نتيجة لوجود علاقات التبادل التجاري التي ربطت المدن الفينيقية بالاغريق في حوض البحر المتوسط ، والعلاقات التجارية مع القوريين في شرق ليبيا كما سنتطرق الى هذه النقطة في الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية .

---

(١) جوليان ، شارل اندرية ، تاريخ افريقيا الشماليه ، المرجع السابق ص ٢٤٨ .

(2) Gilbert Et Colette G. P..., Op.Cit P.152.

الفصل الخامس

الحياة السياسية في إقليم طرابلس في العصر الفينيقي

بداية النفوذ القرطاجي على اقليم طرابلس :

بدأت العلاقات السياسية القرطاجية مع مدن اقليم طرابلس عقب حادثة انشاء مستعمرة اغريقية بالقرب من مدينة لبدة القديمة .

يقص علينا هيردوت[1] قصة هذه الحادثة فيذكر ان دوريوس الابن الثاني لملك اسبارطة والذي كان يعتقد بأحقيته في العرش قد غضب عندما انتقل العرش الى اخيه كليومينس المختل عقليا فجمع دوريوس فريقا من الشباب الاسبارطي ورحل بهم نحو سواحل ليبيا الغربية ونزل في مكان بالقرب من مدينة لبدة مستعينا بأرشاد بعض مستعمري شيرا وكان ذلك حوالي ٥١٤ ق.م واستقر في أرض تخص الليبيين على نهر الكنبس (وادي كعام) وهي اخصب بقاع ليبيا وكان الادلاء الاغريق يعرفونها ، ولكن المستعمرة الاسبارطية لم تدم اكثر من ثلاث سنوات قامت بعد ذلك قبيلة المكاي الليبية بمساعدة القرطاجيين بطردهم منها .

ومن غير المعروف عما اذا كانت قرطاجة قد وسعت نفوذها في تلك الفترة ليشتمل منطقة المراكز التجارية ام لا ولكننا نستنتج ان قرطاجة كان لها نوعا من النفوذ جعلها قادرة على الايعاز لقبيلة المكاي بطرد الاسبارطيين ونستطيع ايضا ان نستنتج من هذه الحادثة مدى اهتمام قرطاجة بمنع اي تسرب اغريقي نحو أراضيها وسد جميع منافذ التسلل الى حدودها .

ولكن لنا ان نتسأل عن الاسباب التي جعلت قبيلة المكاي الليبية تمكن الاغريق من انشاء مدينة كنبس Πολις Κινυφ ومن البقاء في سلام مدة تقارب الثلاث سنوات دون نزاع .

---

(1) Herodotus V, 326.

ولقد ذهب (مرغي) [١] في كتابه السابق الذكر في تفسير ذلك الى ان الاغريق كانوا قد توصلوا الى تفاهم للتعايش مع القبائل المجاورة ويفترض ان القبائل المجاورة لم تكن قادرة على معارضة هؤلاء الدخلاء واضطرت الى الاتفاق معهم [٢] ، ولعل قرطاجة لم تعر الامر اهمية في بداية الامر فالمستعمرة الامبراطية الصغيرة لم تكن تشكل خطرا عليها ولكنها عندما ادركت انها اخطر مما كانت تظن وان الامر ربما كان يؤثر على تحديد الحدود بين الطرفين القرطاجي والاغريقي في برقة مستقبلا فقررت التدخل والقضاء على هذه المستعمرة وعمدت بعد ذلك الى تقوية لبده واوكلت اليها مهمة الحارس لصد اية محاولة تسرب اغريقية جديدة .

ولقد اعتبرت هذه التدابير بمثابة اعادة تأسيس مدينة لبده والتي لانعلم عما اذا كانت موجودة ام لا حيث ان هيردوت لم يتطرق الى ذكر المدينة ، ومع ذلك فأن وجودها على شكل قرية صغيرة ليس بمستبعد ولقد دفع هذا الاغريق الى الاهتمام بالمدينة والى تسميتها تنابوليس * NEaπolis

وعلى اية حال لايجد الدارس فيما يطرحه (مرغي) في هذا الصدد مايتعارض مع سير الاحداث التاريخية بعد ذلك .

---

(1) Merighi A. ., Op.Cit.P.29.
(2) Ibid P.30.

* هذا الاسم الاغريقي يعني المدينة الجديدة باللغة الاغريقية القديمة .

الصراع القرطاجي الاغريقي وأثره على اقليم طرابلس :

اثر الغزو الاشوري لبلاد فينيقيا انقطعت الصلات التي ربطت قرطاجة بوطنها الاعلى وبالتالي انقطع النشاط التجاري لبلاد فينيقيا في البحر المتوسط واصبحت قرطاجة وهي اكبر المدن الفينيقية في شمال افريقيا المسيطرة على تجارة عالم البحر الابيض المتوسط ولكن ظهور الاغريق كمنافسين لقرطاجة في عالم التجارة البحرية ادى الى وقوع التصادم بين الطرفين خاصة عندما بدأت قرطاجة تتطلع الى السيطرة التامة على تجارة حوض البحر الابيض المتوسط ولا ترضى بأى منافسة ٠

وعندما اندفعت قرطاجة الى التوسع في صقلية وقع الصدام بين الطرفين ٤٨٠ ق٠م وكان في مصلحة القرطاجيين حيث تم بموجبها استيلاء قرطاجة على صقلية الغربية ٠

واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين تتخللها فترات من السلام ثم تعود الحرب لتشتعل مرة اخرى ولم تتوقف الا خلال فترة ظهور الاسكندر المقدوني على مسرح الاحداث [1]

ولعل الاسكندر المقدوني كان يبيت النية في مد حدود امبراطوريته الى شمال افريقية ولكن وفاته بددت مخاوف قرطاجة وسمح لها بتجديد كفاحها ضد سيراكوز في صقلية مرة أخرى ٠

---

(1) Ibid P.40.

ولقد وحدت المصالح السياسية والاقتصادية بين الاترسكين في ايطاليا وبين القرطاجيين واصبح الطرفان يقفان في جانب واحد ضد الاغريق ، الا ان هذا التحالف لم يحقق الانتصار المطلوب على الاغريق ولقد كان لهدء الحروب اثرها على اقليم طرابلس .

من المعروف ان قرطاجة قامت في بداية حياتها كمدينة تعتمد على التجارة - والتي كانت السبب المباشر في الازدهار الاقتصادي الذي اصابته - ولقد ادى ذلك الى وهن العلاقات بينها وبين السكان الاصليين ولم يتعد سلطانها الا جهات محدودة حول المدينة .

وفي خلال فترة السلام التي سادت بين الجانبين والتي دامت لفترة سبعين عاما تقريبا اخذت قرطاجة التي كانت في ذلك الحين تعيش حياة شبه منعزلة عن العالم الافريقي تغير سياستها الاقتصادية واتجهت [1] نحو التوسع عن طريق الاستيلاء على اراضي شمال افريقية ويظهر ان هذا التغيير قد طرأ نتيجة لانعزالها في جهات اخرى من عالم البحر الابيض المتوسط اثر فوز الاغريق على الفرس ثم فوزهم على الاتروسكين في ايطاليا .

ورغم استمرار قرطاجة في احتكار التجارة في عالم البحر المتوسط فأنها بدأت تعاني من نقص الواردات نظرا لاعتمادها على جانب اقتصادي واحد وهو التجارة البحرية حتى اذا ما اصاب هذه التجارة الكساد اتجهت الى العالم الافريقي وعملت على التوسع في الاراضي الافريقية نفسها بما في ذلك المدن الفينيقية في اقليم طرابلس .

---

(1) Warmington. B.H., General History Of Africa, " The Carthaginian Period" No 1d, II Printed By Ricard Clay Itd, Bungay, Suffolk, First Published, Unesco California 1981,(P.445).

ومن غير المعلوم بشكل دقيق مساحة الاراضى التى استولت عليها قرطاجة فى الشمال الافريقى [1] فى القرن الخامس ق ٠م ولانعلم عدد المستوطنات التى اصبحت الان مدنا صغيرة فى اغالب الاحوال بل ان الكثير منها لايزال غير معروف المكان تماما ولكننا نستطيع ان نقول بشىء من الثقة ان مدن اقليم طرابلس الفينيقية قد دخلت ضمن امبراطورية قرطاجة فى خلال هذه الفترة تقريبا اى فى نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع ق ٠م ٠

النزاع بين قرطاجة واغريق برقه حول قضية الحدود :

يشير التاريخ الى حلقة أخرى من حلقات النزاع بين قرطاجة وبين جيرانها الاغريق ادى الى نشوب حرب بينهما بسبب الخلاف على تحديد الحدود بين قورينائيا والاقليم الطرابلسى ٠

ولعل مايجب ان نذكره عن هذه الحرب انها تمثل جانبا مجهولا فى تاريخ الطرفين ويورد التاريخ لنا بعض النتف التى جمعها الاقدمون والمحدثون على السواء لاتجيب الا على جزء ضئيل مما نود معرفته عن تفاصيل الموضوع ومانعلمه حول هذه الحرب لايمثل الا طريقة انتهائها ٠ فماهى ياترى العوامل السياسية التى ادت الى نشوب الحرب بين قرطاجة وقورينى ؟ فلنلق اذن نظرة على الوضع السياسى لكل منهما فى الفترة السابقة لاصطدامهما [2] ٠

---

(1) Idem.

(2) Thrige J.P., Res Cyrenesium, Translated From Latin Into Italian By Silvio Ferci, A.Airoldi, Ital 1940 § 49.

عاشت قوريني فترة خلافــات سياسيـة لم تلبث ان انتهت بأنتهاء العصـــر الملكـي وبدأت تعيــش فترة من الازدهـــار الاقتصادى جعلها تشعر بالقوة والثقة بالنفـــس.

وعلى اثر اتســاع الحدود السياسيـة للطرفين نشأت بين الطرفين منازعات ذات طابع تجارى واتسعـــت حتى تحولت الى حرب برية وبحرية طويلة الامد ، امـــا قرطاجـة فأنها اعتزمـت ان تثبت حدودهـــا الشرقية عقب محاولة دوريوس.

ولقد كــان النزاع على الاراضى التى تقـع بين ســرت الكبرى وسرت الصغرى السبـب المباشـر الذى ادى الى قيـام الحرب[1] .

واذا نظرنا الى المنطقـة فى حد ذاتها وجدنا انها منطقة مجدبة لاطائـــل اقتصادى وراءها يذكـــر.

ولقد ترك لنا سالوســـت[2] وصفـا لهذه الاراضى ذكر فيه ان المنطقة الـتى كانت تفصل بـين الطرفين كانت عبارة عن سهل رملى متشابه التضاريس ليس به جبـل او نهـــر يمكن اعتبـــاره فاصلا بين المتخاصمين ولكـــن كانت ذو اهمية غـير مباشـرة تعـــود الى موقعهـا كمركز هام للتبـادل التجارى[3] الذى ربط بين منطقة المدن الخمس من جهــة قرطاجـة والمراكـز التجارية من جهـة اخرى وكذلك بين الجهات الداخليــة من القـــارة الافريقية (الجرامنـــت) وبين مصر العليا واثيوبيا .

---

(1) Idem

(2) Salust War With Jugurtha LXXIX 3

(3) Thrige J.P., Op.Cit. § 49.

ولقد وصف الرومان هذه (١) الحرب بأنها اكبر حرب على الاطلاق خاض غمارها القورينيون وبأشتراك على مايظهر كافة المدن التورينائية .

ننتقل الان الى الكيفية التي انتهت بها هذه الحرب .

لقد صاحب تحديد الحدود بين الطرفين حادث اشبه مايكون بالاسطورة منها بالواقع.

عندما اشتدت الحرب بين القورينين والقرطاجيين وطال امدها اتفق الطرفان على نوع من التحكيم الطريف ، فقد رأيا ترك امر تجديد الحدود لفريقين من العدائيين احدهما قرطاجي والاخر قوريني على أن ينطلق كل فريق من بلده ، وتكون الحدود المقبولة في النقطة التي يلتقيان فيها ، ولسبب او لاخر وصل ممثل قرطاجه الاخوان فيليني الى خليج سرت قبل ان يلتقيا بنظيرهما من الطرف الاخر (٢) .

واتهم القورينيان القرطاجيين بالغش وذكر الاخوان فيليني ذلك وابديا استعدادهما لان يدفنا حيين في المكان الذي وصلا اليه على ان تكون الحدود عند تلك النقطة ولقد حدث ذلك بالفعل ودفنا في تلك البقعة ورفع الاهالي تلين من الرمال فوق القبرين.

وللقصة جانب ايجابي وجانب سلبي ، الاول قليل التصديق والثاني بعيد عنه ويظهر فيه جانب الخيال والاسطورة ولنبدأ من الجانب الايجابي .

---

(1) Idem.

(2) Sallust War With Jugurtha LXXIX.

لايخفى أن القدماء جبروا في الحروب الطويلة الضارية على اختيار افراد من الطرفين للفصل في المنازعات[1] حقنا للدماء وعلى ذلك فأن حدوث القصة على هذه الشاكلة ليس فيه خروج عن القواعد الحربية عند القدماء.

اما قصة دفن الاخوان في ذلك المكان فهي تنطوي على عنصر ديني ، فلا يخفى ان القرطاجيين كانوا يقدمون ضحايا بشرية للالهة ومن المحتمل أن يكون من ضمن شعائر الافريقيين عادة دفن البشر أحياء[2].

واذا تطرقنا الى الاسم نفسه وجدنا ان هذا الاسم اغريقي مشتق من كلمة فيلي الاغريقية التي تعني " المحبة " ولعل ذلك يقودنا الى الاعتقاد في ان القصة نفسها من تأليف الاغريق مما يدعونا الى الشك في صدق هذه الرواية غير انه يجب تفسيرها بأن الاغريق قد اطلقوا اسما غريقيا على ذلك المكان حيث كانت حدود دولتهم ولم يكن امام سالوست الا استعمال هذا الاسم الذى كان شائعا ولعله لم يكن له اسم آخر.

وعند هذا الحد ننتقل الى الحديث عن الجانب السلبي في الموضوع فمن المحتمل ان هذا الحادث كان مثيرا للخيال لدى عامة الشعب مما ادى الى ظهور روايات كثيرة متباينة حد التباين كما يبدو وان سالوست نفسه قد استخلص هذه الرواية من تلك الروايات المتباينة مما ادى الى ضياع الاصل الحقيقي لهذه الحادثة عندما كان واليا على نوميديا[3] ، وعلى ذلك فليس في استطاعتنا الحكم بزيف الرواية برمتها كما انه ليس لنا ان نقبل بصدق الرواية بأكملها.

---

(1) Thrige ,J.P, Op.Cit. S 49.
(2) Idem.
(3) Idem.

ويذهب "جود اتشايلد" (١) في كتابه (قورينا وابولونيا دليل تاريخي) الـى ان القصة ربما كانت من تأليف الاغريق انفسهم ليفسروا بها سبب سيطـرة قرطاجة على الجزء الاعظم من خليج سرت وربما كان الملاحون السبب في انتشار هذه الرواية اذ انهم كانوا عند مرورهـم بقرب الساحل يهتدون بمرتفعين يقومان فوق الجبل العالي الى الشرق من قوس الاخوين فيليني .

واذا حاولنا تحديد المنطقة التي حدث حولها النزاع لن يكون بأستطاعتنـا سوى الاعتماد على ماتركه لنا الكلاسيكيون ، فقد حدد استرابـون (٢) المنطقة ذاكرا ان قلعـة التي تقع بالقـرب من مذبح الاخوين فيليني وتمثل مناطق الحدود بـين الطرفـين البطالمـة وقرطاجة ويعتبر منطقـة السلـوم الحدود الشرقية لاقلـيم قورينـه .

ويعتقد مرغي (٣) في كتابه السابق الذكر ان المكان الذي حدثـت فيه الواقعـة في اقصـى سـرت الكبرى هو منطقـة مقاطـع الكبريـت الحالية معتمدا على ذكره بريبلـو* وبطلمـوس ، أمـا بالنسبـه للزمـن الـذي حدثـت فيـه هـذه الحـروب فمـن المتعـذر تحديـد زمـن ثابـت بالنسبـه لبداية هـذه الحروب ، فالقصـة التي اوردها سالوسـت لاتقـدم اي عنصـر نعتمد عليه بالتحديد الزمـن الـذي وقعت فيـه الحادثـة ،

---

(١) جود اتشايلد ، قورينا وابولونيا (دليل تاريخي) ، ترجمة الادارة العامة للاثار ليبيـا ترجم عن الطبعة الثانيه من الاصل الانجليزي ـ الناشر ادارة البحوث الاثرية ، ١٩٧٠م صـ ٢٧ ، ٢٨ .

(2) Strabe XVII, 22.

(3) Merighi A., Op. Cit, P.31.

* Periplus Of The Mediterranean.

* ترجمة عنوان هذا الكتاب الكلاسيكي بجولة على شواطىء البحر الابيض المتوسط والكتـاب منسوب الى Scylax Of Caryabda وهو اغريقي من Carya مقاطعـة في آسيا الصغرى تشمل على ماأظن مدينه ازمير القديمة (ازمرته) .
والكتاب عباره عن وصف لموانى البحر الابيض المتوسط وبيان مسافاتها وموانىء فروع هـذا البحر وموانىء الشواطىء الليبية حتى المواقع التي كان القرطاجيون يمارسون فيهاتجارتهم . ويشير الباحثون الى هذا الكتاب بالكلمة الاولى من عنوانه Periplus دون اسـم الكتاب الذي ينسب اليه الكتاب من غير يقين .

ولكننا نستطيع تحديد زمن الحرب بين قرطاجة وقوريني بشكل تقريبي • فمن المعروف ان هيرودوت الذى تحدث عن القبائل الليبية لم يتحدث عن قيام هذه الحرب ولعلل هذا قد حدث فى بداية العصر الجمهورى •

وكما يذهب " مرفى " (١) فى كتابه السابق الذكر ان الحدود بين الطرفين كانت مخططة فى حوالى منتصف القرن الرابع ق • م وذلك اعتمادا على بوبيلو الذى ذكر نصب الفيليني فى كتاباته واستنادا على المعطيات السابقة نستطيع ان نقول ان تاريخ قيام الحرب القرطاجية القورينية كانت خلال العصر الجمهورى ولا يذكر المؤرخون القدماء تاريخا تقريبا آخر محتملا لقيام هذه الحرب نظرا الى ان الكتابات الكلاسيكية لاتوحى للباحث بأى تاريخ تقريبى آخر عن قيامها •

اجاثوكليس ومصير مدن اقليم طرابلس الفينيقية :

فى صيف عام ٣٠٩ ق • م من المرجح ان المراكز التجارية القرطاجية بأقليم طرابلس اصيبت بنكسة خطيرة ومرت بأوقات عصيبة نتيجة لحرب نشبت بين قرطاجة ومدينة سيراكوزا الاغريقية فى جزيرة صقلية •

---

(1) Ibid. P. 40.

كان الحاكم الطاغية - كما كان يلقب في تلك المدينة - اجاثوكليس في ذلك الزمن وكان قد عمل قبل ذلك في جيش بلده بأمتياز ، ولكن الحكام اضطروا الى نفيه مرتين لما كان يظهره من مسلك مريب نحوهم .

وفي المره الثانية من ابعاده في عام ٣١٧ ق.م ، عاد الى سيراكوزا على رأس جيش المرتزقه واستولى على الحكم وافنى عددا كبيرا من حكامها وشرد الباقيين ، كان رجلا حازما وقائدا محنكا حسنت سيرته وقام بأعمال جليلة واصلاحات هامة فأحبه شعبه واولاه ثقته (١) .

ومن المعروف ان الحروب بين قرطاجة والمدن الاغريقية كانت مستمرة على فترات مدى قرنين ( ) وكان كل من الطرفين يهدف الى اخضاع الاخر واخراجه من الجزيرة - في اطار سلسلة هذه الحروب قامت الحرب بين قرطاجة وسيراكوزا في عام ٣١٠ ق.م - وكان اجاثوكليس طاغية سيراكوزا كما رأيناه منى الجيش السيراكوزي فيها بهزيمة ادت الى ضرب الحصار على المدينة فـآل الطاغية على نفسه ان يكسر الحصار وان يهاجم قرطاجة في عقر دارها ويدمرها (٢) .

سعيا وراء تحقيق غايته هذه انتقل اجاثوكليس فعلا بجيشه وفي نفس السنة الى شمال افريقيا واخذ يحقق بعض الانتصارات (٣) .

---

(1) مجهول المؤلف Encyclopedis Britani Co, Vol.1, Item: Agathocles P.342

(2) Diodorus XX, 40.

(3) مجهول المؤلف Encyclopedis Britani, Vol.1, Item Agathocles Op.Cit.P 342.

ويقول ديودورس[1] وجوستين[2] انه اخضع مائتي مدينة وقرية قرطاجية نتيجة لانتصاراته تلك ولربما يرجع ذلك الى خلاف داخلي كان قد نشب بين رجال الحكم في قرطاجة فأنهك قواهم وجعل الضعف يدب في جيشهم مما مكن اجاثوكليس من ضرب الحصار حول قرطاجة في احدى مراحل القتال[3].

ومما حدث في هذه الفترة ان اجاثوكليس ارسل احد رجاله واسمه اورثون الى اوفلاس حاكم قورينائية يعرض عليه الاشتراك في الحرب ضد قرطاجة على ان يكون له الغنم كله في شمال افريقية بعد الانتصار[4].

اما اجاثوكليس فينسحب بجيشه وله في صقلية وجنوب ايطاليا ، بعد النصر وتدمير قرطاجة ، مافيه الكفاية[5]

وكان اوفلاس المذكور آنفا احد قواد الاسكندر (الاكبر) ومن المعلوم ان بطليموس قد استقل بحكم مصر عقب وفاة الاسكندر ، كما فعل غيره من ولاة الامبراطورية المقدونية ، كل في ولايته.

ففي عام ٣٢٢ ق.م اختلف القورينيون فيما بينهم فأدى ذلك الى حرب اهلية تمكنت خلالها طائفة من طرد طائفة اخرى من المدينة ، فأستنجد المطرودون بثيبرون الذي تدخل بجيش من المرتزقة ضد اهل قوريني الباقين وتواصلت الحرب سجالا بين الطرفين وتعقدت بأشتراك القبائل الليبية والقرطاجيين الى جانب قوريني ، وهنا ارسل بطليموس اوفلاس على رأس جيش

---

(1) Diddorus XX, 17,6.

(2) Justin XX,II,6,12.

(3) مجهول المؤلف Encyclopedia Britanica, Vol.1, Item Agathocles Op.Cit P.342.

(4) J.P.Thrige, Op.Cit § 56.

(5) Idem.

J.P.

ليعيد الاستقرار الى قورينيه وبينما كان هذا على وشك الانتهاء من مهمته ، وصل بطليموس الى قوريني ، واخضع قوريني نهائيا وضمها الى ملكه وكان ذلك في عام ٣٢٢ ق.م ثم عاد الى مصر وترك حامية بقيادة اوفلاس لمراقبة سير الامور [١] .

وفي عام ٣١٣ ق.م ثار القورينيون على الحكم البطلمي وحاصروا رجال الحامية بما فيهم اوفلاس ، كما يبدو ـ فبعث بطليموس بجيش بقيادة اجيد فأخمد الثورة وعاد الى مصر ـ وظل اوفلاس قائد الحامية البطلمية في قوريني [٢] .

وبينما كان بطليموس بعيدا في شغل شاغل ، يدير شئون مصر ويرد عادية اعدائه عنها ، شرع اوفلاس في استمالة القورينيين واذكاء العداء الذي كانوا يكنونه في نفوسهم لبطليموس * وفي بث الدعوة لنفسه ، حتى كان عام ٣١٢ ق.م فقام بأعلان نفسه ملكا وتسلم ادارة شئون قوريني مباشرة ، واذ هو كذلك وفد عليه ارتون مبعوث اجاثوكليس واطلعه على عرض سيده ، فأعاره اوفلاس اذنا صاغية ووجد فيما احتواه العرض من اغراء مايرضى طموحه في التوسع وبناء امبراطورية لنفسه وتم الاتفاق واخذ اوفلاس يعد العدة لنجدة اجاثوكليس [٣] .

بعث اوفلاس بادي ذي بدء رسلا الى اصدقائه في اثينا واخبرهم بالامر وشاع الخبر ـ ولم يطل الوقت حتى تقاطر على قوريني جمع من طلاب الجاه والمجد ومن الطامعين في المال السهل ومن الجنود المرتزقين العاطلين والمغامرين وغيرهم ** ـ

(1) Thrige J.P, Op.Cit P.55.
(2) Diodorus, XIX, 29,1.
(3) Diodorus, XX, 41,3.

* انظر الدستور البطلمي مادة ١ـ ٢ـ ١٢ ذلك ان بطليموس شجع حزب الارستقراطية ضد طبقة العامه
انظر الاثرم ، عبد الحميد وتاريخ برقه السياسي والاقتصادي في القرن السابع ق.م حتى بداية العصر الروماني ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

** يشير التاريخ الى ان تلك الفترة كانت ازمة اقتصادية في بلاد الاغريق مما دفع تلك الاعداد من الناس الى البحث عن مصادر الرزق خارج بلاد الاغريق .

ولما اكتمل جمعهم تحرك الجيش فكان قوامه عشرة الاف رجل وستمائة فارس ومائة عربة حرب ـ أضف الى ذلك جمع جاشد اخر من عشرة الاف شخص بين رجال ونساء واطفال بكامل امتعتهم واخذ هذا الموكب الضخم يسير ببطء متناه في صيف اشتد حره ، يقطع المفازة تلو المفازة في ارض جرداء شح ماؤها وكثرت افاتها من حيوانات مفترسة الى زواحف قاتلة مختلفة فعانى افراده الامرين من العطش والجوع والمرض وضياع الانفس اجتاز حدود توريتائية ودخل الارض التابعة لقرطاجة ثم اخترق منطقة المراكز التجارية في اقليم طرابلس الى ان بلغ الاراضي التونسية بعد مضي شهرين من تحركه [1] .

خف اجاثوكليس ورجال حاشيته الى الاتجاه نحو الوافدين ونزل بجوار معسكر اوفلاس وتم اللقاء معه واغدق عليه وعلى رجاله المؤن واشار اليهم بالراحة والاستجمام وفي اليوم الخامس من وصول اوفلاس وبينما كان رجاله منتشرين في البراري طلبا للكلا لدوابهم جمع اواجاثوكليس اركان جيشه واتهم حليفه بالخيانه وحرضهم على مهاجمته فخرجوا وهو في مقدمتهم اليه وقاتلوه الى ان سقط صريعا [2] .

كان نتيجة لمصرع اوفلاس ان انضم جيش قوريني الى جيش اجاثوكليس ولربما لم يكن الطاغيه يهدف الا الى ذلك عندما عرض الحلف على اوفلاس .

حدث بعد ذلك ان وحد القرطاجيون صفوفهم بعد تسوية خلافاتهم وقاتلوا اجاثوكليس الى ان الحقوا به هزيمة نكراء اضطر الطاغيه على اثرها الى ان يعود خفيه الى سيراكوزا تاركا وراءه ابنين قتلهما الجند فيما بعد لانهما لم يكونا قادرين على تحمل مسئولية القيادة [3] .

---

(1) Taruge J.P.OP. Cit. ص 56.
(2) Diederus, XX, 42.
(3) Tarige J.P. OP. Cit ص .56.

السؤال الان هو ماذا حل بالمراكز التجارية القرطاجية فى اقليم طرابلس ياترى عندما مربها جيش اوفلاس ؟ سكتت المصادر جميعها عن الاجابة عن هذا السؤال ولاغرابة فى ذلك لان الامر هامشى بالنسبة للكتاب الاقدمين فتحدثوا عن حلف اجاثوكليس ـ اوفلاس اجمالا واهملوا التفاصيل ثم ان ماحدث للمراكز التجارية يمكن معرفته بداهة اى انها قاست ماكان يقاسيه عادة اى بلد على يد مغير من سلب ونهب وتخريب وعنف خاصة اذا كان ذلك البلد يعتبر بلد عدو وكان ذلك الصغير خائفا مرهقا مشبعا بروح السلب والنهب ، كما كان الامر بالنسبة لجيش اوفلاس.

وعليه نرى ان ماحدث على وجه التقريب هو الاتى :

(١) انتشار الجنود فى المزارع بصورة خاصة واغتصابهم المحاصيل المتوفرة بقوة السلاح لسد رمقهم فضلا عما احدثته ولاشك دوابهم من تلف فى المزروعات.

(٢) الاستيلاء على السلع المختلفة المعروضة للبيع فى متاجر المدن.

(٣) توقف التجارة الداخلية الى حين.

(٤) توقف تجارة القوافل والتجارة البحرية لمدة من الزمن.

(٥) الحاق اضرار بطرق المواصلات نتيجة لمرور جيش اوفلاس عليها.

(٦) استعمال العنف سواء كان ضربا او قتلا مع كل من حاول مقاومة الجنود ومنعهم من اعمال السلب.

وخلاصة القول ان المراكز التجارية القرطاجية فى اقليم طرابلس اصيبت بلا ريب بنكسة اقتصادية واجتماعية عارمة ولم تزل اثارها ـ كما اعتقد ـ الابعد فترة طويلة من الزمن ، اضف الى ذلك ماقد كان هناك احتمالا من انعكاسات سياسية واقتصادية اخرى قامت عليها نتيجة لحرب اجاثوكليس لقرطاجة.

الحرب البونية واثرها على اقليم طرابلس :

بدأت العلاقات السياسية بين قرطاجة وروما اثناء الصراع الافريقي القرطاجي في صقلية وذلك عندما عقدت روما في بداية العهد الجمهوري في حوالي عام ٥٠٩ ق.م [1] معاهدة للتجارة تتضمن في نصوصها على بند ينص على السماح لتجار قرطاجة بالمتاجرة مع روما بينما يحظر على تجار روما من المتاجرة مع أي ميناء من موانىء الامبراطورية القرطاجية بمافي ذلك اقليم المدن الفينيقية في طرابلس(الامبوريا) كما يحظر على السفن الرومانية من الرسو في أي ميناء من الموانى الفينيقية [٢] في شمال افريقية الا اذا دعت الضرورة لذلك مثل اصلاح سفنهم اذا اصابها عطب او للاتقاء من العواصف والانواء عند الشدائد على ان تغادرها خلال خمسة ايام.

وفي عام (٣٤٨ ق.م) [٣] * جددت نفس المعاهدة مع اختلاف طفيف في الشروط السابقة ولكن دون مساس بجوهر الاتفاقية الاولى.

وعندما انتهى الصراع الاغريقي القرطاجي بدخول روما ميدان الصراع وتخلي الاغريق عن دورهم في صقلية الى الرومان الذين حلوا محل الاغريق في العمل على خلق نفوذ تجاري لهم في صقلية بدأت اسباب الحرب التي كانت قائمة بين الاغريق والقرطاجيين تتكون بين الرومان والقرطاجيين.

---

(1) Polyp. III,22,1.

(٢) ايمار ، اندريه ، واخرون ، روما وامبراطوريتها ، المرجع السابق ، ص٥١ .

(3) Polyp, III,24,

* يختلف " ليفي " Liv " وديدور الصقلي " Diod " مع بوليبوس Polp حول تاريخ عقد المعاهدة الاولى والثانية ولكن ذلك لايغير جوهر الموضوع اى منع التجار الرومان من الاتجار مع مدن اقليم طرابلس حول هذا الموضوع انظر Liv.VII,27,2,.38,1. وانظر Diod,,XVI,69,1.

أن الخوض في تفاصيل الحروب الرومانية القرطاجية قد يبعدنا عن غاية بحثنا هذا في حين لا يهمنا منها الا اثارها على مدن اقليم طرابلس.

ولعل الاثر الاول لهذه الحروب كان على منطقة الامبوريا هو محاولة الاسطول الروماني القيام بعمليات السلب والنهب والقيام بغزوات خاطفة وسريعة على السواحل الافريقية التابعة لقرطاجة في محاولة لالحاق الضرر بالعدو القرطاجي في عقر داره ولقد حدث ذلك خلال فترة قيام الحرب البونية الاولى على وجه التقريب(١)

وكنتيجة لقيام هذه الحروب تم تدمير مدينة قرطاجة ثم تحولها الى مدينة رومانية وبطبيعة الحال تبع ذلك انتقال املاك قرطاجة في شمال افريقية الى ملكية الرومان بما في ذلك مدن اقليم طرابلس التي كانت مدينة لبده تحتفظ خلالها بعلاقة طيبة مع الرومان وسف نطرق الى هذه النقطة بشكل مفصل خلال معالجة الفصل الختامي من هذه الرسالة وهو الفصل الخاص بأنتهاء العصر الفينيقي القرطاجي وبداية العصر الروماني .

عقب حادثة التصادم في مسينا بين الرومان والقرطاجيين اشتعلت نار الحرب البونية الاولى وخلال ذلك النزاع معارك كثيرة كان اكثرها غير حاسم ولكن الغلبة كانت في النهاية في طرف الرومان وانتهى الامر بأنسحاب القرطاجيين مرغمين .

---

(1) Merighi A., Op.Cit,P.43.

ادرك الرومـان ان النصر في تلك الحـروب لن يكون في جانبهم ولن يكون في استطاعتهـم انـتزاع صقليـة من خصومهـم مالم يكن لهم اسطول بحري.

ففي عام ٢٦٠ ق.م تمكـن الرومـان من اعداد اول اسطـول بحري لهم ولكن كانت تنقصهـم الخبرة في حـروب البحا ر ولم تكن لهـم نفس المهـارة التي كانـت عنـد القرطاجيين وللتغلب على تلك المشكلـة حرصوا علـى تزويـد سفنهم بــأداة ابتكروهـا وهي عبـارة عن جسـر صغير في أحد طرفيـه مخالب حديدية تثبت علـى سـاري السفينـة بحبـال فأذا ما اقتربـت سفينـة رومانيـة من سفينة قرطاجية اثنـاء المعركـة اطلقـت طرف الجسـر من حبالـه فتقع حافتـه بمخالبهـا الحديدية علـى ظهـر السفينـه القرطاجية فتتصـل بها فينتقـل من ثم الجنود الرومـان اليهـا وتسدور المعركـة بين الطرفـين كمالـو كانت معركـة بريـة [1] وطبـق الرومــان هـذا الابتكـار فـي اول معركـة بالقرب من ميلاي على الشاطـئ الشمالـي من صقليـة قرب طرفـه الشرقي [2] وتمت لهـم الغلبـه فيها على القرطاجيين ولكـن انتصـار الرومـان في هذه المعركـة لم يفتح لهـم الطريق للانتصـار فـي المعارك التي تلتهـا فوجـدوا ان خـير وسيلـة لحسـم الحرب هي نقلها الى افريقية نفسهـا فخـرج في عام ٢٥٦ ق.م الاسطـول الرومانـي وأنزل جنوده علـى الارض الافريقيـة وتقابل الجمعـان وكان النصر حليـف القرطاجيين في هذه المرة حتى انهم استطاعـوا اسـر القائـد الروماني رغولوس وبذلك لم تحسـم الحرب في هذه المـرة ايضـا وعـاد النزاع بـين الطرفـين مرة أخـرى حول صقلية وبعد سلسلـة مـن المعـارك انتهى فيهـا الامر بهزيمـة قرطاجة التي اضطـرت مرغمة الى عقد اتفاقيـة سلام مع رومـا كانت اهم شروطهـا أن تدفع قرطاجة لروما تعويضا قدره ثلاثة الاف وثمانمائة

---

(1) J.M.C., Encyclopedia Britanica, Vol 18, Item; Punic Wars : P.768 .

(٢) نصحي ، ابراهيم، تاريخ الرومان ، الجزء الاول ، منشورات الجامعـة الليبية ، كلية الآداب ، بنغازي ، ١٩٧١م ، ص٢٥٧ .

تالنت على اقساط لمدة عشرين عاما (1) وتتنازل لها عن ممتلكاتها في صقلية وبذلـــك انتهت الحرب البونية الاولى .

شعرت قرطاجة انها قد فقدت جزءا كبيرا من ممتلكاتها خلال الحرب البونيـة الاولى فسعت لتعزيز مافقدته عن طريق احتلال اسبانيا .

بدأت الحرب البونية الثانية بعد حصار قرطاجة لمدينة سيغنتم أو (ساجنتسوم) الاغريقية على الساحل الشرقي لاسبانيا والتي كانت خاضعة لنفوذ روما فهب الرومـان لمساعدتها وكان بطل هذه الحرب ــ الحرب البونية الثانية ــ هنيبعل الذي استطاع من خلالها الزحف على ايطاليا نفسها وذخر الرومان خلال سلسلة من المعارك الطاحنة رفعته الى مستوى القادة العظام مثل موقعة تريبيا Trebia وموقعـة ترزمـــين Trasimene سنة ٢١٧ق.م وخاصة كاناى Cannae والتي ادت الــــى اصابة روما بهزائم عسكرية كبيرة جعلتها تشعر باليأس من النصر خاصة عندما كــــاد هنيبعل ان يغزو روما نفسها لولا انعدام وسائل الحصار لديه ولكن السنوات الخمس عشرة التي امضاها هنيبعل في ايطاليا لم تؤد به الى النصر في نهاية المطاف نتيجة لقصور الامدادات وهزيمة اخيه هازدروبعل في اسبانيا على يد جيش روماني اخـــر فاضطـر الى العودة الى افريقيـة دون هزيمـة تذكر .

وعقب ذلك سارع الرومان الى ارسال جيش الى افريقية بقيادة القائد الرومانـــي الاصغر " اسكيبو الافريقي " والذي كان قد اظهر عبقريته خلال المعارك التي جرت مع القرطاجيين في اسبانيا فولاه الرومان قيادة جيشهم المرسل الى افريقيا وكانت نهايـة هنيبعل في هذه الحرب التي انتصر فيها الرومان عند موقعة زاما Zama وبذلك لم يبقى امام قرطاجة الا التسليم والموافقة على شروط الصلح القاسية التي فرضها الرومان .

وبهذه الهزيمة التي اصابت قرطاجة انتهت الحرب البونية الثانية فتلتها الحرب البونية الثالث والتي وقعت معظم حوادثها في الارض الافريقية وكانت بداية الحقيقـــة لتدخل روما في شئون افريقيا .

---

(1) J.M.C., Encyclopedid Britanica, Vol 16, Item Punic wars, Op.cit P.768.

علاقة قرطاجة السياسيه بمدن اقليم طرابلس :

فى خلال القرن الخامس ق٠م وخلال فترة الصراع الاغريقى القرطاجى بدأت قرطاجة فى التوسع على ساحل الشمال الافريقى ومد سيطرتها الى المدن الفينيقية المتناثرة على ذلك الساحل ومنها مدن اقليم طرابلس٠

وفى تلك الاثناء نصبت قرطاجة نفسها زعيمة لتلك المدن ولقد سبق ان عرفنا ان قرطاجة كانت من اقدم المدن الفينيقية على الساحل الافريقى واكبرها واكثرها سكانا فلا غرابة فى ان تكون لها زعامة تلك المدن ٠

ورغم وحدة الاصل التى جمعت بين سكان هذه المدن وبين قرطاجة فأنها سلكت ازاء هذه المدن سياسة اتسمت بالانانية وحاولت عزل هذه المدن عن العالم الخارجى هذا من ناحية ومن ناحية اخرى اتبعت نحوها سياسة اقتصادية احتكارية وعاملتها معاملة المستعمرات ففرضت عليها الضرائب الباهظة ومنعتها من تكوين اسطول حربى وجيش لجعلها ضعيفة واهنة غير قادرة على الدفاع عن نفسها ازاء اى اعتداء خارجى ٠

ان معظم المصادر الكلاسيكية التى بين ايدينا والتى تشير الى سياسة قرطاجة تجاه مستعمراتها الافريقية كتبت على يد الرومان الذين كانوا اعداء القرطاجيين فلعلهم قد بالغوا فى وصف هذه السياسه فهم يتحدثون عن شعور عدائى ولكن ذلك لايعنى ان قرطاجة كانت منصفة فى معاملة تلك المدن وعملت على فرض العزلة عليها وسبق ان تحدثنا عن المعاهدة الاولى والثانية التى عقدتها روما مع قرطاجة والتى حظرت التجار الرومان من التعامل مع المدن الفينيقية الاخرى ٠ فالشعوب التى ترغب فى الاتجار مع المدن الفينيقية كان عليها ان تحصل على اذن بذلك وفى حدود معينة تدون فى عقود رسمية [1] ٠ وهذا ماحدث للتجار الاغريق الذين استمرت تطلعاتهم التجارية لهذه المدن حتى بعد فشل محاولة دوريوس فى الاستقرار فى تلك المنطقة ٠

---

(1) Ibid. P.46.

ويظهر ان معاملة قرطاجة لرعاياها قد اختلفت من منطقة الى اخرى فكانت المستوطنات الفينيقية القديمة اكثر المدن امتيازا بالاضافة الى المستوطنات التي استنها قرطاجة نفسها ، والتي كان الاغريق يسمون سكانها باسم الفينيقيون الليبيين وكان على سكان هذه المدن بشكل عام ان يدفعوا رسوما على البضائع المستوردة والمصدرة وكانوا يكلفون في بعض الاحيان بالجندية ولعلهم كانوا يؤلفون بعض أطقم الاسطول القرطاجي [1] .

اما السكان الليبيون من سكان الجهات الداخلية فكانوا اسوء الفئات حالا ويظهر ان الموظفين القرطاجيين كانوا يقمون بعملية الاشراف على جمع الضرائب والتي كانت تقدر بواقع ربع المحصول وترتفع في اوقات الحروب - كما حدث في فترة الحروب البونية - حتى وصلت الى نصف المحصول [2] .

ويصح لنا ان نتصور ان مدن اقليم طرابلس قد خضعت للحكم القرطاجي المباشر واصبحت من الاراضي الخاضعة للضرائب في وقت مبكر جدا ويذكر لنا ليفي ان مدينة لبدة ، التي تقع في الحقول الخصبة في منطقة شرق سرت والتي تسمى (الا مبوريا) تدفع تالنتا واحد كل يوم خواجا للقرطاجيين [3] على اننا نستبعد ان تكون المدينة المقصودة هي مدينة لبدة الصغرى (لمطه) ذات الاهمية الثانوية .

وبالاضافة لهذه الضريبة كانت المدن الفينيقية الاخرى تدفع لقرطاجة ضرائب عينية ويشير بوليبيوس [4] الى ان قرطاجة في خلال القرن الثاني ق.م قد رفعت مكوسها على المدن الفينيقية الواقعة في شرقها بما فيها لبدة حوالي وزنتين في اليوم.

---

(1) Warmington. B.H., General History Of Africa, Op.Cit P.445.

(2) Idem.

(3) Livy. XXIV, 62.3.

(4) Polybius 1, 82.

ورغم ان المبلغ الذى ذكره بوليبيوس يبدو فيه شيء من المبالغة الى انه ليس بالمبلغ الكبير اذا اعتبرنا مدينة لبدة مركزا لمدن اقليم طرابلس - كما ذهب الى ذلك بعض المؤرخين - * فأنها تمثل ماتدفعه هذه المنطقة من مُكُوس مجتمعة .

النظم السياسية والادارية فى مدن اقليم طرابلس الفينيقية :

منذ القرن الخامس ق.م بدأت قرطاجة فى التوسع على حساب مدن افريقيا الفينيقية بالتدريج وكانت طبيعة العلاقات التى ربطت قرطاجة بمناطق نفوذها علاقات تقوم على الاشتراك فى الجنس والثقافة والصالح المشتركة .

وبالرغم من وجود هذه الصلات فأن ذلك لم يؤدي الى ارتباط المدن الفينيقية فى الشمال الافريقى بها ولم تؤدى الى ظهور روح قومية بينها ولكن ذلك لم يحل دون تأثر المدن الفينيقية فى افريقيا بقرطاجة ، فلقد تركت قرطاجة اثرها فى النظم السياسية والاقتصادية بل والاجتماعية ايضا .

اما بالنسبة للنظم السياسية فأننا نجد ان قرطاجة قد حظيت بمجموعة من المؤسسات السياسية التى حصلت على ثناء الكتاب الكلاسيكيين بما فى ذلك الكتاب الرومان الذين كانوا ينظرون الى قرطاجة بعين العداء .

وقد اشار الفيلسوف الاغريقى ارسطو [1] - وهو من اعظم المفكرين السياسيين فى التاريخ القديم - الى الدستور القرطاجي واثنى عليه لماوجده فيه من اشتراك عناصر الحكم الثلاث الملكية والارستقراطية والديموقراطية والتى كان يعتقد انها تشكل الاساس لاستقرار الدولة السياسى .

---

* يذهب غزل الى ان طرابلس كانت تمثل مركزا اداريا بالنسبة لبقية مدن الاقليم .

(١) برايس ، ف.ن ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

وكان من الطبيعي ان مدن اقليم طرابلس التي انشئت بعد قرطاجة أن تسير على نفس النظم السياسية القرطاجية والتي حملت بذورها معها من بلادها الاصلية .

ولقد حدثنا المؤرخون الكلاسيكيون عن النظم السياسية التي وجدت في مدن اقليم طرابلس وهي في جملتها تكاد تكون نفس النظم السياسية القرطاجية بدون ان تكون مطابقة لها تماما فهي نظم سياسية واحدة حملها الشعب الفينيقي معه من بلاده الاصلية على الساحل السوري الى شمال افريقيا ولابد انه قد طوعها بعد ذلك لظروف البيئة الجديدة وما استلزمه ذلك من تغيير ولو كان طفيفا .

ولكن الظروف المتشابهه بين اقليم طرابلس وبين قرطاجة تدعونا الى الاعتقاد بأنها نفس النظم القرطاجية تقريبا فقرطاجة حملت صفة الدولة المدنية وهو نفس النظام الذي وجد في الساحل الفينيقي في المشرق .

ولقد حملت مدن أقليم طرابلس نفس الصفة ووجود هذه الصفة بالاضافة الى الاصل الواحد لهذه المدن ووجود عنصر مؤثر واحد في كلا الطرفين وهو العنصر الليبي المحلي ومع وجود التأثير القرطاجي في العصور المتأخرة مايزيد في اعتقادي بأن النظم السياسية في كلا الطرفين تكاد تكون واحدة .

ويحدثنا التاريخ عن وجود منصب سياسي واحد وهو يمثل أعلى درجة في الدولة وهو الذي عرف باسم " شافط " ثم صرف في الاغريقية فأصبح " شافط " Sofet [1] ولقد وجد في قرطاجة بعد العصر الملكي ويظهر ان هذا المنصب يعود بجذوره الى

---

(١) انظر : فريحة ، انيس ، ملاحم واساطير من اوغاريت ، مؤسسة خليفة للطباعة النشر دار النهار ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص٥١ .

المدن الفينيقية في بلادهم الاصلية على الساحل السوري ومايدل على قدم المنصب واصالته في الحضارة الفينيقيةان هذه الكلمة قد وردت في العصر القديم [١] .

ويحدثنا سالوست [٢] بأن مدينة لبده كانت تتمتع بحكم ذاتي وكان يشرف على ادارة لبده حكام منها وقد كشفت النقوش الاثرية [٣] بأنهم كانوا يلقبون " بالشوفيت" أو " السوفيت" ، وعلى ذلك فأذا وجدنا في العصر الروماني مدينة بق لهما وان كانت تحت حكم قرطاجة وكان يشرف على اداراتها حكام بنفس اللقب يكون من السهل استنتاج أنها كانت كذلك في العصر الفينيقي [٤] وتحتوى هذه التسمية على معنى القاضي او الحاكم وربما كان عددهم يتجاوز الاثنين والتسمية ظلت مستعملة في شمال افريقيا في المناطق التي خضعت للثقافة القرطاجية لمدة قرن كامل بعد استيلاء الرومان على شمال افريقيا ـ وربما اكثر من هذه المدة ـ للدلالة على اعلى منصب مدني في المدينة .

ويستطرد سالوست فيوضح ان لبده احتفظت بقوانين وانظمة فينيقية حيث كانت المدينة تعين عن طريق الجمعية الشعبية سوفيتين اثنين وكان اعلى سلطة مدنية وكانا يمارسان السلطة القضائية كذلك بالاضافة الى الاجتماع للنظر في مصالح المواطنين .

ويضاف الى سلطة الشفط سلطة عسكرية ولانعلم عما اذا كانت هذه السلطة تضاف في مدن طرابلس الى سلطة الشفط ام لا ، فمن المعروف ان امور الدفاع عن هذه المدن كانت من اختصاص قرطاجة ولعل هذه السلطة قد وجدت في هذه المدن ولكنها الغيب عندما انتقلت هذه المدن الى حكم قرطاجة المباشر .

---

(١) برايس ، ف.ن ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .
(2) Sallust, LXXVII, 1.
(3) Merighi A., Op.Cit, P.54.
(4) Warmington B.H., General History Of Africa, Op.Cit. P.45.

اما المؤسسة السياسية الاخرى التي لعبت دورا في مدن طرابلس فكانت سلطة مجلس الشيوخ فكانت تتغلب على سلطة الجمعية الشعبية كماكان يحدث في قرطاجة .

وليس لدينا مايشير الى عدد الاعضاء الذين يتكون منهم مجلس الشيوخ في لبده وفي مدن اقليم طرابلس الاخرى ومن المحتمل ان اعضائه كانوا يختارون من ذوي اليسر ، او لقيامهم بخدمات جليلة لمجتمعاتهم كماتدل على ذلك القرائن [1] .

ولقد ذهب سالوست الى ان هذه المؤسسات السياسية قد ورثتها لبده من المؤسسين الفينيقيين ولذلك فأن قرطاجة لم تتردد عبا لتعديلها عندما كونت امبراطوريتها ووسعتها .

هذا بالنسبه لمدينه لبده ولكن معلوماتنا عن المؤسسات السياسية في المدن الفينيقية الاخرى تكاد تكون معدومة ولكن يستنتج انها حصلت على نفس المؤسسات السياسية التي حصلت عليها لبده ، هذا هو كل ماوصلنا في هذا الشأن ولعل معول الاثري يأتينا بمعلومات جديدة في هذا الخصوص.

هذا هو الشكل العام للنظام السياسي في مدينة لبده ولكن سالوست لايحدثنا عن وجود دستور لمدينة لبده ولاعن غيرها من مدن الاقليم ، ولربما كان دستور مدينة لبده وبقية المدن الاخرى كان على غرار مدينة قرطاجة .

---

(١) برايس ، ف . ن ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

ولنا بعد ذلــك أن نتســاءل عما اذا كانت قرطاجــة بماكانت عليه في صرامة وشــدة في معاملة المدن التابعــة لها ــ قد سمحــت بقيام اتحاد بين هذه المدن ولقد ذهب بعض المؤرخين الى الاعتقــاد بوجود نــوع من الاتحاد بين مـــدن اقليم طرابلس ولكن البقايــا الاثرية والحفريات لاتدل على وجــود مثل ذلك الاتحاد وحتى ولو وجد نوع من الاتحــاد بينهما فربمــا كان عبارة عن نوع من التعاون على اساس ان منطقــة طرابلــس كانت تؤلــف منطقة ادارية واحدة [1] .

وتشير الحفريات الاثرية التي عثر عليها في لبده الى نــوع آخر من الموظفــين يسمى " محازيــم " Muhazim [2] اى الجباة ومن اختصاصهم تزويـــد الاســواق بمايلزمها من المعدات والالات وجمع الضرائب والغرامات وربما وجد نظــير لهذه الوظيفــة في مدن الاقلــيم الاخرى.

اما شكل النظم السياسية في المدن الفينيقية بصفة عامة فأنها حكومات الاقليات لقد كانت المدن الفينيقية سواء في المشرق او المغرب وقفــا على اغنائها الفينيقــيين وظلت هذه المدن تيموقراطية [3] Timocracies التي تعني حكـــم الرجــال الذين يحبون الجــاه والشرف ويتوقون اليهما ولاتعني حكم الاقليــة ويعــبر عنه بكلمــة Oligarchy او لجاركي ومن متطلبــات تولي الحكم في النظـــام التيموقراطي ان يكون المرشح من أصحاب الثــروات.

وخلاصة مايمكن ان نقوله عن النظم السياسيــة في المدن الفينيقية بشكل عام ان السياســة قد وظفــت لخدمة الاقتصــاد .

---

(1) Merighi A., Op.Cit, P.56.
(2) Haynes. D.El., Op.Cit. P.92.
(٣) مير ، ح .ل ، المرجع السابق ، ص٤٩٩ .

الفصل السادس

الحياة الاقتصادية في مدن اقليم طرابلس الفينيقية

الحياة الاقتصادية فى مدن اقليم طرابلس :

لاشك ان النشاط الاقتصادى قد تعدد فى مدن اقليم طرابلس ولم يقتصر على التجارة بالرغم من أن وجود هذه المدن مدين للنشاط التجارى بشكل خاص وعلى ذلك فيمكن ان تولى النشاط التجارى فى هذه المنطقة المرتبة الاولى بين الانشطة الاقتصادية الاخرى.

أما الزراعة فلعلها قد احتلت المرتبة الثانية بعد التجارة فى اهميتها بالنسبة لهذه المدن ولعلها قد احتلت المرتبة الاولى عندما اشتد الصراع الاغريقى القرطاجى فى حوض البحر المتوسط وحدث تبعا لذلك نوع من الانكماش التجارى للامبراطورية القرطاجية التى كانت تشمل مدن اقليم طرابلس فى ذلك الوقت مما جعل قرطاجة تولى الزراعة اهمية اكبر من ذى قبل فأزدهرت فى تلك الفترة .

ويجب ان لايغيب عن بالنا ان مواقع هذه المدن وخاصه لبده تدين بوجودها الى نشاطها الزراعى نظرا لموقعها فى مناطق زراعية خصبة بالاضافة الى اهميتها التجارية .

اما الصناعة فيبدو وانها اقل الانشطة الاقتصادية التى مارسها السكان فى تلك المنطقة كما تشير الى ذلك البقايا الاثرية .

الزراعـــــــة :

مما لا شك فيه ان الزراعة قد لعبت دورا هاما فى اقتصاديات شمال افريقيا قبل وصول الفينيقيين اليها وسبق ان تعرضت الى ذلك .

وعندما وصل الفينيقيون الى شمال افريقيا اصبحت الزراعة تمثل المرتبة الثانية من حيث الاهمية الاقتصادية فقد كانت التجارة الاساس الاقتصادى الاول الذى قامت عليه المدن الفينيقية فى شمال افريقيا بمافى ذلك مدن اقليم طرابلس وخلال فترة الحرب البونية احتلت الزراعة مرتبة مساوية للتجارة وربما تجاوزت ذلك بالنسبة لقرطاجة والمدن التابعة لها وذلك اثر كساد الحركة التجارية كماسبق وان ذكرت .

وكانت شجرة الزيتون والكروم والتين هى المنتجات الرئيسية للمدن الفينيقية فى شمال افريقيا [1] واشتهرت مدينة لبدة الكبرى [2] بصفة خاصة بزراعة الزيتون ، تلك الشجرة التى تتحمل شدة الرياح وقيظ الصيف كما اشتهرت تبعا لذلك بزيت الزيتون .

ان زراعة هذه الاشجار المثمرة كانت معروفة فى الشمال الافريقى ولكن الفضل يعود للفينيقيين فى اتباع الوسائل المناسبة والطرق المتطورة فى الزراعة بشكل عام .

---

(١) رستوفتزف ، م . تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ، الجزء الاول ، ترجمة زكى على ومحمد سليم سالم ، مطبعة مصر ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ص ٣٨١ .

(٢) مير ، ج . ل . المرجع السابق ، ص ٨٩٤ .

وعن الفينيقيين اخذ الرومان فى القرن الثانى ق٠م زراعة شجرة التين الافريقى وشجرة الرمان واطلقوا عليها اسم التفاح البونيقى [1]٠

واشتهر ماغون القرطاجى بكتابة فى اساليب الزراعة وهويعكس اهتمام القرطاجيون الفينيقيون المبالغ بالزراعة وكل مايتعلق بها٠

ولعل الازدهار الزراعى شهده الشمال الافريقى بشكل عام كان من الدوافع الاساسية التى حملت الرومان على تدمير قرطاجة والاستيلاء على كل الشمال الافريقى بعد ذلك [2]٠

هذا ولم يكتف ماغون بمعالجة موضوع الزراعة فحسب بل تناول فى كتابه ايضا ماله علاقة بالزراعة مثل تربية النحل وتجفيف الفواكه وصنع انواع الحلويات وزراعة قصب السكر والعدس بالاضافة الى وسائل تربية الدواجن مما يحمل فى الاعتقاد على ان سكان اقليم طرابلس وسكان شمال افريقية كانوا يمارسونه [3]٠

ومن المحتمل ان الفينيقيين قد استعانوا بالسكان الاصليين فى ادارة المزارع وربما كانت نشأت من المدن الليبية الكنعانية قد سكنها اصحاب الاراضى والتجار الفينيقيين او بعض السكان الاصليين الذين تأثروا بالفينيقيين وكونوا طبقة من ملاك الاراضى [4] التى تسكن المدن وكانت هذه المزارع تنتج الحبوب التى تطعم تلك المدن٠

---

(١) ايمار ، اندرية وآخرون ، روما وامبراطوريتها ، المرجع السابق ، ص٥٦ ٠

(٢) ايمار ، اندرية وآخرون ، روما وامبراطوريتها ، المرجع السابق ، ص٥٦ ٠

(٣) صروعة ، جورج ، المرجع السابق ، ص٣٣٣ ٠

(٤) رستوفتز ، م ، المرجع السابق ، ص٣٨٢ ٠

ومن الادوات التي احدثها الفينيقيون في شمال افريقية استعمال المحراث ذو السكة المعدنية بينما كان السكان الاصليون يستعملون محراثا ذا سكة خشبية (١) .

ومما كان الفينيقيون يولونه اهتمامهم البالغ التحكم في المياه والاستفادة منها استفادة معقولة في الري الزراعي وقد ذكر استرابون (٢) سدا فينيقيا اقيم بقرب مصب وادي كهام الحالي .

ولقد كشفت الاثار في مناطق طرابلس عن مجموعة اخرى من السدود بالاضافة الى مشاريع الري والصهاريج والتي استمر استعمالها حتى العصر الروماني الذي ادخل عليها كثيرا من التحسينات والتطوير (٣) .

وكانت مياه الامطار تشكل مصدر المياه بالنسبه لمدينه لبده التي عثر فيها على بقايا صهاريج تدل على ذلك وان كان من المستبعد ان تكون مياه الامطار المصدر الوحيد لمياه المدينة .(٤)

وقد عرف الفينيقيون جمع مياه الامطار في خزانات وحفظها لمدة طويلة وذلك بتغطية الخزانات بطبقة من الجص حتى لا يتسرب منها الماء (٥) .

---

(1) Desanges J., Ceneral History Of Africa Op.Cit.P.434.
(2) Haynes D.El., Op.Cit.P.30.

(٣) طه ، باقر ، المرجع نفسه ، ص ٨٨ .
(٤) طه ، باقر ، المرجع نفسه ، ص ٨٨ .
(٥) الاثرم ، رجب عبد الحميد ، الحضارة الفينيقية في المغرب العربي ، المرجع السابق ، ...

وعلى اية حال فأن معظم بقايا السدود الحالية تعود الى العصر الرومانـي .

ومن المرجح ان الحمير والخيول والجمال قد استخدمت كوسائل نقل ولعل الفلاح القديم قد استخدمهما ايضا في زراعة هذا بالاضافة الى البغال والثيران والتي تحدث عنها ماجو السابق الذكر ومن المرجح ان[1] تطور التجارة والاهتمام بالزراعه لم يؤثر على حرفه الرعي .

الصناعـة :

من المرجح ان عصر الزيتون وصنع النبيذ قد تصدر الصناعات الفينيقية في مدينة قرطاجة وكذلك مدن اقليم طرابلس وخلال العصر الروماني وكانت الزيوت المستوردة توضع في جرارة خاصة وتصدر الى روما على ان الزيوت التي كانت تنتج في روما واسبانيا اجود من زيوت شمال افريقية من حيث الاعداد فالزيت الافريقي لم يكن رديئا ولكنه كان يحتاج الى اعداد جيد لم يكن متوفرا في افريقيا[2] .

اما النبيذ فكان من الصناعات المزدهرة في قرطاجة وكذلك في مدن اقليم طرابلس اعتمادا على مزارع الكروم التي كانت تنتشر في كل الشمال الافريقي . ولقد عثر في منطقة طرابلس على كثير من الجرار الخاصة بتخزين الزيت والنبيذ .

---

(١) اندشيه ، احمد ، المرجع السابق ، ص١١٢.

(2) Mommsen T., Op.Cit.P.338.

وتشير المصادر التاريخية الى أن انواع النبيذ الافريقي كانت لاتحظى بتقدير عال في الاسواق الخارجية ولقد شار الرومان الى انه كان يخلط بالجبس للتخلص من حموضته [١] .

من المعروف ان صيد الاسماك كان من الحرف التي مارسها السكان في مدينة قرطاجة ولعله كان كذلك في مدن طرابلس كما اظهرت البقايا الاثرية وبطبيعة الحال صاحب قيام هذه الحرفه صناعة تمليح وتجفيف الاسماك كما عرفت في لبدة بأسم صناعة (الجاروم)[٢] ، وكما عرفت ايضا في الموقع الذى عرف بأسم ماكوماديس والذى ذكرته المصادر باسم Tapixeloc (تاريخه)[٣] بالاضافة الى مدينة زوخيس Zouxis [٤] التي مارست هذه الصناعة ايضا وحتى اسم مدينة سترتس (سرت) الذى يعني شرك الصيد [٥] بالافريقية بأنتشار حرفة الصيد البحري ومايتبعها من صناعة تمليح وتجفيف وصناعة شباك الصيد .

وهناك من يرجع سر غناء مدينة لبدة الكبرى الى ضخامة المقادير التي كانت تصطادها من سمك الرنكة [٦] (وهو سمك من فصيلة السردين) .

---

(1) Gilbert Et Colett C. P. ,Op.Cit,P.159.
(2) Haynes D.El Op.Cit.P.53.
(3) Merighi A. , Op.Cit.P.37.
(4) Idem
(5) Haynes D.El.,Op.Cit.P.53.
(٦) انديشه ، احمد ، المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

وهناك صناعة بحرية اخرى عرفت عند الفينيقيون فى بلادهم الاصلية وهى صناعة صباغة الارجوان والتى ضربت شهرتهـا افاق العالم القديم وكانت هذه الصناعة من الصناعات التى نقلهـا الفينيقيـون معهـم الى سواحل افريقيـة واشتهرت مدينـة Zouxis السالفة الذكر بصناعة الارجـوان [1].

وتشـير الحفريات التى عثر عليهـا تحت مسـرح لبدة الرومانى الى وجـود بعض الصناعـات البدائيـة مثل اوانـى الفخـار مطليـة باللون الاسود ، وقناديل ذات طـراز اغريقى [2] لايعـرف عما اذا كانت مقلـدة او مستوردة مـن بـلاد الاغريـق ومن المرجـح ان بقايـا الزيت الذى لايصلـح للطعام كان يستعمـل كوقـود فى انـارة تلك القناديـل ولقد وجد بالاضافـة الى ذلـك بعض الاجراس الصغـيرة المصنوعـة من البرنز وعقـود مصنوعـة من الفخار والقواقـع [3].

وبالرغـم من ان الشواهد الاثريـة فى مدن اقليم طرابلس لاتشـير الـى وجـود صناعة الغزل والنسيج رغمـا من ان قيـام مثل هذه الصناعة تعتبر مـن الضروريـات الى ذلك فـأن انتشـار هذه الصناعـة فى العصر الحديث فى كـل الشمال الافريقـى والتى تعتـبر من الصناعـات التقليديـة فى المنطقـة يرجـح احتمـال وجـود وانتشـار صناعـة الغزل والنسيج فى العصر الفينيقـى وان وجدت مثـل هذه الصناعـة فى المنطقـة فـأن وجودهـا كان بطريقـة بدائيـة تستعمـل فيها الانـوال اليدويـة وتعتمـد على الاصـواف الحيوانيـة فتسد حاجات السكان من القمـاش.

---

(1) Merighi, A...., Op.Cit.P38.
(2) Haynes D.El, Op.Cit.P.30.
(3) Idem.

بقى بعد ذلك ان نشير الى صناعة اخرى وهى صناعة السفن التى لم تترك لنا الاشار حتى الان مايشير الى وجودها ولكن عدم وجود مثل هذه الصناعة فى مجموعة من المدن تعتبر التجارة عمود حياتها الفقرى لهو من الاحتمالات المستحيلة الا اذا افترضنا ان سفن هذه المدن كانت تصنع فى قرطاجة وهو من الامور التى لم تثبت حتى الان .

واذا افترضنا وجود مثل هذه الصناعة فى هذه المدن فلابد انه قد تبعتها مجموعة من الصناعات الاخرى المكملة لها مثل صناعة الحبال وصناعة المراسى (المخاطيف) والاشرعة .

التجـــــــارة

بالرغم من ان المدن الفينيقية فى هذا الاقليم (اقليم طرابلس) تعتبر مدينة بوجودها الى النشاط التجارى البحرى الا ان معلوماتنا فى هذا المجال قليلة ، فمن غير المعروف عدد السفن التى استعملها سكان هذه المدن فى عملياتهم التجارية ولانوع السلع التى كانوا يتعاملون بها ولعله من الغلو ماقيل من ان المدن الفينيقية بأقليم طرابلس كانت محرومة من ممارسة التجارة البحرية لان قرطاجة كانت تتبع سياسة احتكارية مع اجزاء امبراطوريتها ، غير ان ماكانت تدفعه[1] مدينة لبدة سواء كانت بمفردها او بالاشتراك مع بقية مدن المنطقة - من ضرائب للوطن الام - لدليل واضح على انه كانت هناك تجارة مزدهرة وكانت تمثل التجارة البحرية جزءا هاما منها - وهذا يدحض مازعم عن نزعة قرطاجة الاحتكارية ولعله غلو روما فى التشنيع بقرطاجة .

(1) Polybius 1,82.

اما ماكانت تحمله سفن المدن من سلع فمن المرجح انها كانت لاتختلف عن السلع التى كانت تحملها سفن قرطاجة التجارية ، ولعل هذه المدن كانت تشكل مراكز استراحة ونقاط تموين لتلك السفن التى تمر بها سواء من قرطاجة او من مدن فينيقية اخرى خلال رحلاتها التجارية فى البحر الابيض المتوسط وسبق ان ذكرنا ان الكثيرين من ابناء هذه المدن قد شكلوا جزءا من رجال البحرية التجارية والحربية لقرطاجة نفسها .

وبالاضافة الى هذا الدور الذى كانت تقوم به مدن اقليم طرابلس فأنها كانت تشكل نقط اتصال بين سلع القارة الافريقية التى كانت تنتهى اليها عن طريق القوافل والتى كان يعاد تصديرها بحرا الى القارة الاوربية ، مقابل سلع اوربية تعود بها السفن الناقلة الى موانى الاقليم [1] .

واستنادا الى هذه الاهمية التجارية اقام القرطاجيون المراكز التجارية على طول خليج سرت وكانت تعرف باسم (امبوريا) مأخوذة من كلمة Emperia الاغريقية وبها Emporion امبوريون بمعنى سوق.

تجارة القوافل عبر الصحراء قديمة جدا ولعلها قد ارتبطت بساكنى الصحراء منذ فجر التاريخ .

ورغم قلة المعلومات التى تركها لنا القرطاجيون عن هذه التجارة الا انه بالامكان الحصول على مزيد من المعلومات حول هذه التجارة عن طريق جمع المعلومات عنها من العصور التالية العصر القرطاجى اى منذ بداية العصر الرومانى حتى نهاية العصر العثمانى .

---

(1) Bovill E.W., The Golden Trade Of The Moors, Oxford University Press, London, 1958, P. 18.

وفى ليبيا المعاصرة كانت تجارة القوافل مازالت عاملة حتى اواخر القرن التاسع عشر وكان قائد القافلة يسمى (خبيرا) او (دليلا) وكان بعضهم من الدراية بالامور الصحراوية لدرجة كان يكنه معها ان يعرف الموضع الذى تمر به القافلة بشم حفنة من تراب الارض اذا تعذر عليه معرفته بطرقه الخاصة الاخرى ..

وكان من نتيجة استقرار الفينيقيين فى اقليم طرابلس وانشائهم للمدن الرئيسية الثلاث اويا ولبده وصبراته واختلاطهم بالليبيين حدوث نوع من التعاون الذى املته الظروف الاقتصادية فأستفاد الليبيون من الخبرة الكبيرة التى كان الفينيقيون يملكونها فى فن الملاحة كما استفاد الفينيقيون من الليبيين فى تعرفهم بمجاهل الصحراء وبذلك استفاد كل طرف من الاخر .

وبالرغم من أشتراك الفينيقيين فى الرحلات التجارية للقوافل فأن قيادة هذه القوافل كانت تترك عادة لسكان الصحراء الذين كانوا اعلم بدروب بلادهم من الفينيقيون وكانت قيادة القافلة تناط بأشخاص ذوى دراية وعلم بدروب الصحراء وكان من واجباتهم ايضا العناية بعدد كبير من المسافرين قد يصل الى الالفين . ولعل من اهم المشاكل التى كانت تواجه المسافرين فى الطريق قلة الزاد والماء ومشاق واخطار الطريق مثل قطاع الطرق واللصوص[1] .

ولقد شكلت الصحراء جزءا كبيرا من القارة الافريقية وكانت عبارة عن بحار من الرمال القليلة السكان والماء ويسودها مناخ حار قليل الامطار وكانت طرق القوافل هى الوسيلة الاولى التى استخدمها الانسان فى عبور تلك الفلوات

---

(١) ويللارد . جيمس . الصحراء الكبرى . مكتبة الفرجانى . الطبعة الاولى . طرابلس . ليبيا . مايو ١٩٦٧م . ص ٧٢ .

ومن غير المعروف تماما التاريخ الذى بدأت فيه سيرة القوافل فى الصحراء ولا شك انه امر تكتنفه الكثير من الصعوبات والمشاق كما سبق أن ذكرت.

ولقد شهدت الصحراء الكبرى عبور الاف من القوافل التى ربطت الساحل الافريقى بدواخل القارة الافريقية واتسمت بالاستمرار والنشاط بالرغم من ان الرسوم الصخرية التى وجدت فى المناطق الجنوبية تشير الى استخدام الخيل والحمير فى رحلات القوافل مما يزيد فى مشاق تلك الرحلات نظرا لقلة تحمل الخيل والحمير للعطش فى دروب الصحارى بالنسبة للجمال التى كانت غير معروفة فى المنطقة ، كما ان حمل كميات من الماء فى تلك القوافل يقلل من كمية السلع التى يمكن حملها فى القافلة ويقلل من سرعة سير القوافل (١).

وكان ادلاء القوافل يسيرون فى طرق محدودة مرتبطة بوجود الماء واما مشكلة مد القافلة بالزاد فكانت تحل عن طريق صيد الحيوانات البرية مثل الغزال المنتشر فى انحاء الصحراء (٢).

---

(١) ايوب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
ص ٢٠١ .

(1) Herodtus II,32

وخلال القرن الرابع ق.م ظهر حدثان احدهما ايجابي والاخر سلبي أما الحدث الايجابي فكان استخدام الجمل * في تجارة القوافل ولاشك انه كان من الاحداث الخطيرة التي تعتبر ثورة في عالم تجارة القوافل وكانت عاملا اساسيا ادى الى ازدهارها بعد ان اصابها شيء من الكساد [1] .

اما الحادث السلبي فكان نقص المياه الجوفية في الصحراء الكبرى نتيجة للاستهلاك المستمر [2] .

---

* تشير البقايا الاثرية في شمال افريقيا كما تشير الدراسات الجيولوجية الى وجود الجمل في شمال افريقيا خلال الزمن الرابع وقد وجد مرسوما على الصخور منذ العصر الحجري المتوسط وهو من نفس النوع الموجود حاليا في الجزيرة العربية .
وقد وجد نقشا لجمل عليه راكبه يعود الى الالف الثالثة ق.م كما وجد في النقوش المصرية يعود لنفس الزمن .
وهذا يأكد على ان القوافل العربية القديمة كانت تستخدم الجمل قبل القرن الخامس ق.م .
وهذا يخالف ماذكره د. محمد سليمان ايوب في كتابه السابق الذكر وماأكده د. احمد سوسه في المفصل في تاريخ العرب واليهود ص ٢٩٨ ، ص ٣٠١
ود. جواد علي ، في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام ان الجمل وجد في الوطن العربي واستخدم في التجارة منذ بداية العصر الحجري الحديث من خمسة الاف عام وهذا يخالف ماذكره (أول برايت) بأن الجمل وجد في الالف الثانية قبل الميلاد .
ونحن لانجد له ذكر في الحروب البونيه ولافي حمله اجاثوكليس على قرطاجة وعلى كل حال فأن الجمل في ليبيا لم يظهر ولم يستعمل بشكل جلي واضح الا خلال العصر الروماني وان وجد قبل ذلك .

(1) Mommsen, T. ..., Op.Cit, P.340.

(٢) ايوب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

ولقد عرف الجمل في شمال افريقيا للمرة الاولى مع دخول الفرس الى مصر في القرن الخامس ق٠م ولقد وصل هذا الحيوان الصبور الى واحة سيوه مع طلائع جحافل الاسكندرية وكانت سيوه في ذلك اقصى نقطة للغرب[1] ، وصلته الابل ولعل سكان مدينه لبده كانوا اول من قام باستيراد الابل الى ان اصبحت خلال القرن الرابع من اشهر اسواق الابل[2] .

ليس من المعروف تماما طبيعة العلاقات التي ربطت الجرامنت مع الفينيقيين والاغريق على الساحل الشمالي لليبيا ٠

ولم يترك لنا التاريخ سوى بعض الشذرات التي استدل منها العلماء على وجود علاقات تجارية بين الشعبين ٠

والجرامنت هم سكان الجنوب الليبي الذين اتخذوا من مدينة جرمة القديمة عاصمة لهم والتي لاتزال اثارها باقية حتى الان ولايعرف على وجه التحديد الاصول التي ينحدر منها ونحن هنا لسنا في مجال عرض الافتراضات* التي وضعها العلماء حول اصولهم العرقيه اذ ما يهمنا في الامر هو انه احد الشعوب التي سكنت الجنوب الليبي ثم طبيعة العلاقات التي تكونت مع الوافدين الجدد وخاصة سكان اقليم طرابلس الفينيقية ٠

ومن المعتقد ان هذه المنطقة قد شهدت حركة كبيرة من التبادل التجاري ولاتقل عن مثليها في القرن التاسع عشر ، كمايذهب الى ذلك ثريقه[3] في كتابه السابق ٠

---

(1) Bevill E.W., OP. Cit.P 41.

(2) Haynes D.El.,OP.Cit,P.67.

* محمد سليمان ايوب ، المرجع السابق ص ١٣١ الى ١٣٩ .

(3) Thrige J.P., OP. Cit P 84.

ومن الروايـات التي وصلت الينـا قصة الفينيقـي ماجو ومفادها انـه قـد عبر الصحراء ثلاث مرات بتجارتـه مع قوافـل الجرامنـت [1] .

كما يذكر لنـا استرابـون [2] ان قبائل الجرامنـت كانت تأتي في العصـر الرومانـي للمدن الساحليـة للتجارة مع سكانهـا وعلى ذلك فمن المرجح ان تلـك العلاقـات التجاريـة كانت قائمـة قبل العصر الرومانـي .

عمل الجرامنت على اقرار الامن والسلام والعلاقات الودية بينهم وبين سكـان السواحـل الذين كانوا يشرفـون على منافذهـم البحرية والمرجـح انهم سعوا الى ذلك جاهديـن والا حل الكسـاد في تجارتهـم وبـارت سلعهـم [3] .

ولكننا كما سبـق ان ذكرنـا لانستطيع تحديد تاريخ ثابت لبداية العلاقـات التجارية بين الطرفيـن ولعلهـا نشأت مع بدايـة تأسيس المدن الفينيقية والاغريقيـة على السواحـل الليبيـة .

ويظهر أثر الحضارة القرطاجيـة بشكل اخف مما تركتـه الحضارة الرومانية بعد ذلك على الجرامنـت وربما كان مرد ذلك طول الفترة الزمنية للعصر الروماني .

ومن غير المعـروف تماما نوعية السلـع التي كان يتبادلها الطرفـان على وجـه اليقـين ، بيد أن بعض الكتـاب الكلاسيكيـين تطرق الى ذكر بعض هذه السلـع والدليـل الوحيـد المادي على تلك العلاقـات نجـده في الحبوب الزجاجيه [4] التي كانت تستعمـل كنقود في التعامل مع الجرامنـت .

---

(1) Warmington B.H., Garthage , Apelican Book 1964, P.66.

(2) Straben XVII, 835.

(3) Gilbert Et Colette C. P. Op.Cit, P235.

(4) Ibid P.222.

وكانت مجموعة المدن الاغريقية في ليبيا الشرقية تتقاسم تجارة القوافل مع المدن الفينيقية في اقليم طرابلس وكان الذهب[1] احد اهم الصادرات التي يحتمل ان المدن الاغريقية والمدن الفينيقية على السواء قد حصلت عليه من الجرامنت.

كما تدل البقايا الاثرية[2] على وجود تجارة الرقيق بين المدن الاغريقية والجرامنت وقياسا على ذلك فمن المحتمل ان المدن الفينيقية قد حصلت على العبيد من نفس المصدر.

ومن المحتمل ان القرطاجيين والمدن الفينيقية بشكل عام كانوا يحصلون على الاحجار الكريمة كالزمرد[3] والعقيق[4] الاحمر والذى عرفه الاوربيون بأسم الحجر القرطاجي.

وكان الجرامنت يحصلون على السلع المختلفة من اواسط افريقيا مثل جلود الحيوانات[5] والعاج وبيض النعام والبخور والبهارات والفضة ويعيدون تصدير هذه السلع الى اسواق لبدة واويا وصبراته لبيعها وكانوا يستوردون من مدن السواحل الاسلحة والاواني الفضية والاقمشة والفخار والزجاج والخزف[6] والزيتون والخمور[7].

---

(1) Thrige J.P, Op.Cit § 84.

(2) Idem

(3) Gilbert Et Colett C., Op.Cit P.222.

(4) Bovill E.W., Op.Cit P.19.

(٥) ايوب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(6) Bates O., The Eastern Libyans, Macmillanand Co., Limited St., Martins Street, London, 1914, P.103.

(٧) أيوب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .

كانت القوافل التجارية ملزمـه في اغلب الاحوال بأتباع نفس الطرق والتي ربما لم تتغـير في مختلف العصور لارتباطهـا بوجـود الماء.

ولقد ربطت هذه الطرق مدن الساحـل الفينيقيـة ومدن الساحل الاغريقية على حـد سـواء بمدن الجنوب وخاصـة جرمـة.

وكانت اهم طرق القوافـل الطريق الذي يبدأ من لبدة واويـا وينتهي عنـد سبهـا وعندهـا يتفرع الى فرعـين الاول يمتـد من سبها الى واحـة اوجله ثم واحـه سيـوه حيث يتصل بالطريـق الاتي من قورينـا اما الطريق الثالث فهـو يبـدأ من صبراته وينتهـي عند جرمـه[1].

.فمن المحتمل ان العلاقـات التجارية التي ربطت مدن اقليـم طرابلـس الفينيقيـة وقرطاجـة على وجه الخصوص لم تسلك الطريق المباشر في الزمن الـذي لم تكـن فيه المنطقـة الواقعـة بين سرت الكبرى وسـرت الصغرى خاضعة للحكـم القرطاجـي[2] ولما كان من الممكـن ان يواجهـوا المخاطر في تلك المفازة فسلكـوا الطريق الذي اعتـاد القرطاجيـون استيراد السلـع عبره اي طريق القوافل الـذي ينتهـي عند جرمـة ويربط بـين المدن الاغريقيـة في برقة والمدن الفينيقية فـي اقلـيم طرابلـس.

ومن الجلي ان قرطاجة وتوابعها قامت على اسس تجارية وكذلك الحال بالنسبة للمدن الاغريقيـة الخمس في الاقليم الشرقي من ليبيـا ولولا الخلافات الداخليـة التي كانت تتعرض اليها المدن الخمس بين حين واخر لربما استطاعت ان تصل الى نفس مستوى الازدهار الاقتصادي الذي وصلت اليه الامبراطورية القرطاجية.

---

(١) ايوب، محمد سليمان، المرجع السابق، انظر الخريطة الخاصة بذلك والمنشورة داخل هذه الرسالة. (شكل ٦)

(2) Thrige J.P., Op.Cit. p 84.

ومن المرجح ان العلاقات التجارية بين اقليم قورينا واقليم مدن طرابلس قد شهدت ازدهارا اكثر مما كانت عليه عقب امتداد حدود امبراطورية قرطاجة الى حدود اقليم المدن الخمس والذى اشتمل على منطقة سرت الكبرى (خليج سدرة) والتى كان سكانها يمارسون التجارة المباشرة بين الطرفين وبين الداخل واصبحت التجارة تتم عبر طريق الساحل بدلا من الطريق الصحراوى الانف الذكر (١) .

وكان هذا التعامل التجارى يتم فى خليج سرت الكبرى بالقرب من مدينة تسمى خاراكس* Xαρος اوكاركس كما يحدثنا بذلك استرابون(٢) ويظهر ان هذا المركز قد استخدم كميناء تجارى حيث كان الفينيقيون يستوردون منه النبيذ _ بالرغم من ان قرطاجة نفسها كانت تنتج النبيذ _ ويأخذون بدلا منه شحنات من نبات السلفيوم الذى كان يهرب من اقليم قورينائية وهو النبات الذى اشتهر به الاقليم وكان ذا استعمال طبى كما وصفه الكتاب الكلاسيكيون وكان من أهم مصادر ثروة الاقليم .

ومن الاسباب التى جعلت القورينيون يصدرون السلفيوم عن طريق التهريب التخلص من دفع الضريبة التى كانت مفروضة عليه ومما يؤكد فداحة الضريبة المفروضة على هذه السلعة ان الاثنين كانوا لايتوانون عن السفر الى قرطاجة لشراء السلفيوم منها سالكين بذلك طريقا اطول (٣) .

---

(1) Ibem

* مدينة خاراكس اوكاركس مدينة تقع فى خليج سرت ويعتقد انها تقع عند مدينة السلطان الحالية او بالقرب منها .

(2) Straben XVII, 20.

(3) Thrige J.P, Op.Cit § 85.

ولقد عثر في قبور قرطاجة وفي الموانيء التي كانت تتاجر معها على بعض التماثيل التي يظن انها كانت مصنوعة في اقليم قورينائية [١] .

والحقيقة ان كل من اقليم قورينائية وقرطاجة كانا عبارة عن منافذ للتجارة الداخلية لافريقيا ، فتجارة كل منها مكملة للاخرى .

لقد ارتبطت قرطاجة مع مصر البطلمية بعلاقات اقتصادية قوية مما يؤكد ذلك ان قرطاجة في الحروب البونية الاولى قد طلبت من مصر البطلمية قرضا يبلغ حوالي الفين تالنت[٢] .

ومن المرجح ان هذه العلاقات كانت قائمة حتى قبل العصر البطلمي في مصر ، ان تلك العلاقات التجارية كانت تم عبر قورينائية ومن المرجح ايضا ان هذه المبادلات التجارية قد ازدهرت نظرا لان النبيذ القرطاجي وجد سوقا رائجة في الاسكندرية [٣] .

ولعل القرطاجيين قد سلكوا طريقا صحراويا لايمر على المدن الاغريقية في تجارتهم مع مصر البطلمية [٤] ، او يفضلون طريق البحر وربما حدث ذلك اثناء فترة الصراع على الحدود وقبل ان تمتد حدود قرطاجة الى خليج سرت.

---

(1) Cester C.H., The Economic Position Of Cyreaica In Classical Ages, In Studies In Roman Economic And Social History In Honor Of Alan Chester Johnson, 1951, P.19.

(٢) نصحي ، ابراهيم ، تاريخ مصر في عصر البطالمه ، الجزء الثاني ، مطبعة جامعة القاهرة ، الطبعة الرابعة ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ١٩٧٦م ، ص ٤٦ .

(3) Theige J.H., Op.Cit. § 85.

(٤) عصفور محمد ابو المحاسن ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

ومن غير المعروف الدور الذى قامت به مدن اقليم طرابلس فى هذه التجارة ولعلها كانت تساهم فى قوافل التجارة التى كانت تذهب الى مصر ونستطيع ان نتصور ان نصيبها اقل من نصيب قرطاجة فى هذه التجارة بطبيعة الحال .

من المعروف ان قرطاجة لم تستعمل العملة فى بداية تأسيسها ولعل مدن المراكز التجارية سارت على نفس منوال قرطاجة بل ومن المحتمل انها استعملت نفس عملة قرطاجة اعتمادا على مانعلمه من سيطرة قرطاجة السياسية والاقتصادية على هذه المدن .

ويروى لنا هيرودوت[1] الطريقة التى كان يتبعها الفينيقيون فى معاملتهم التجارية مع السكان الليبيين حيث يذكر بأن السفن الفينيقية التى كانت تصل الى مكان ماخلف أعمدة هرقل ، ويقوم القرطاجيون بأنزال البضائع من سفنهم على الشاطئ ، ثم يعودون الى سفنهم ويشعلون النار فينطلق دخانها فى الفضاء فيأتى سكان المنطقة فأذا اعجبتهم السلع فأنهم يضعون كميات من الذهب الى جانب كل سلعة ثم يعودون ادراجهم خوفا من الغرباء فينزل القرطاجيون من جديد فأذا اكتفوا بكمية الذهب اخذوه تاركين السلع ، واذا لم يكتفوا بالذهب المعروض تركوا الذهب والسلع فيعود السكان ثانية فأذا وجدوا السلعة وحدها اخذوها واذا وجدوا ذهبهم معها ادركوا ان الثمن لايكفى فيزيدوا كمية الذهب او يتركوا السلع لاصحابها .

---

(1) Herodtus IV, 196.

ولعل السكان الليبيين الذين يقصدهم هيرودوت هم السكان الافريقيين فأسم ليبيا كان اسما عاما لافريقيا كما هو معروف ، وعلى ذلك فهم سكان المناطق البعيدة من مدن اقليم طرابلس ، فطريقة التعامل بين الطرفين تدل على جهل احدهم بالاخر ، وعدم وجود علاقة اجتماعية بين الطرفين وهو مالا ينطبق على السكان القاطنين بالقرب من مدن اقليم طرابلس الفينيقية .

بقي ان نتحدث عن بعض انواع الحيوانات التي ربما كان لها دور اقتصادي في الشمال الافريقي بشكل عام والتي ربما كان لها بعض الاثار الاقتصادية في حياة مدن اقليم طرابلس بشكل خاص.

ومن المحتمل ان الفينيقيين قد استأنسوا الفيل الافريقي في شمال افريقيا ومن المعروف ان القرطاجيين قد استخدموا الافيال خلال فترة الحروب البونية .

والفيل ليس من الحيوانات المجهولة لدى الفينيقيين فقد اعتاد الفينيقيون على استأناس الفيل الهندي في بلادهم الاصلية وهي البلاد التي كانت توجد بها قطعان من الافيال الهندية المتوحشة خلال فترة استقرار الفينيقيين في الساحل السوري [1]

---

(1) Races A.. , Op.Cit,P.40.

ويروى لنا بلهني ان الافيـال كانت تربى فيما وراء صحراء سرت وان استأنسها كانت ذات ثمـن باهظ لان عاجهـا كان يستعمـل فى صنع صور الالهة .

وتشـير الحفريات الاثرية الى أن شعار مدينة صبراته هو الفيل ووجـــد بالاضافـة الى ذلك تمثـال لفيـل كبير فى الشـارع الرئيسى لمدينة لبده [١] .

وتشـير الرسوم الصخرية التى وجدت فى الصحراء الليبية على ان هذا الحيوان المتوحـش قد وجـد فى هذه المنطقـة منذ ازمنـة سحيقة ترجع الى العصـــور الحجريـة [٢] .

وتدل الرسوم المنحوتـه فى مدينـة صبراته والتى تعـود الى العصر الرومانى والتى تمثـل صـورة طاووس انه كان من الحيوانـات التى تربى فى المنازل حـتى قبـل العصـر الرومانـى [٣] .

---

(١) دانيلزه تشارلز ، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء ، ترجمة احمد اليازودى الناشر دار الفرجانى ، الطبعة الاولى ، طرابلس ، ١٩٧٤م صـ٨٢ .

(٢) شتريتر ، كارل ، هـ ، الصحراء الكبرى ، الرسوم الصخرية كمصدر تاريخى ، ترجمة عماد الدين غانم ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخيـة ، سلسلة الدراسات المترجمة ، طرابلس ، ١٩٧٩م ، صـ١٤٥ .

(3) Races A., Op.Cit,P.39.

العملـــــــة :

من المعروف ان قرطاجة لم تستعمل العمله الا في وقت متأخر ولعل الامر نفسه ينطبـق على مدن طرابلـس الفينيقيـة ، ولعل قرطاجة ومدن اقلـيـم طرابلـس اعتمـدت على نظـام المقايضة كما ذكر لنا هيرودوت[1] .

وعندما بلغت قرطاجة درجـة كبيرة من الازدهار الاقتصادي اتجهت الى سك عملة خاصة بها ولقد دلت الحفريـات في منطقة مدن طرابلس لبده وصبراتـه ان العملات في تلك المدن في الفترة من القرن الرابع الى الثالث تشبه عمـلات قرطاجـه[2] .

ونستطيع ان نحدد انواع العملات التي عثر عليها في المدن الثلاث كما يأتي :

(١) نقود تحمل اسم اويـات واسم ملقـرات وتحمل ايضا اسم اويا بلدة ملقارت .

(٢) عملات تحمل حروف C.A.O.A.F وتعود الى عام ١٣٨ ـ ١٦١ ق.م[3]
وهي اختـزال للجملة اللاتينية والتي تعني مستعمرة اويا الانطوائية الكبـيرة السعيـدة .

(٣) كما عثر على عمله تحمل صورة تبريوس (١٤ ـ ٣٧ ق.م) والوجه الاخر يحمل اسم اويا باللغة الفينيقية وهذه العمله تعود للعصر الروماني بطبيعة الحال .

(٤) كما عثـر عند وادي سوفلجيين على ٣٢ قطعة من العملات الفينيقية .

(٥) وعثر في جرمه في الجنوب الليبي على عملة تشبه عملة صبراته ولبده وتعـود اقدم هذه العملات الى مدينه لبده في القرن الاول ق.م اما احدثهـا فيعود الى القرن الاول الميلادي وهي تحمل اسم كبقي او لبقي .

---

(1) Herodotus IV 196.

(٢) اندشيه ، احمد ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٣) انظر دليل متحف الاثار بالسراي الحمراء ـ بطرابلس ، ص ٢٨ .

الطعـــــام :

ان اهم شـي° نستطيـع ان نذكـره عن الطعام فى مدن اقليم طرابلس هو شـي° عـام ينطبـق على كل شعـوب البحر الابيض المتوسـط فجملة طعام هـذه المنطقـة كـان يتكون من الحبـوب وزيت الزيتـون الـذى اشتهرت المنطقـة بأنتاجـة وقـد عرفـت قرطاجـة كثير من الاكـلات التى تعتمـد فى اعدادها على هـذه المواد .

ولعل اكثر موارد اللحـوم وفرة فى قرطاجـة كان السمك[1] بأنواعه العديدة والتى تملـح وتبـاع فى الاسـواق ولعل نفـس الصـورة كانت فـى كل المـدن الفينيقيـة فى السـاحـل الشمالى لافريقيـا بمافـى ذلك مدن طرابلس ، وعـرف الفينيقيـون[2] الامتنـاع عن اكـل لحـم الخنزير مثلهـم مثل بقية الشعوب السامية ويشـير اسـترابـون الـى ذلك .

---

(1) Gilbert Et Colette C.P. , Op.Cit P.148.
(2) Ibid P.147.
(3) Strabo XVVII .17.

الفصل السابع

الفينيقيون في العصر الروماني

علاقة المدن الثلاث بمملكة نوميديا :

بهزيمة قرطاجة في الحروب البونية الثالث فقدت قرطاجة اسطولها الذى كانت تحتكر به تجارة البحر الابيض المتوسط فبعد نهاية الحروب البونية الثانية اضطرت قرطاجة الى الموافقة على شروط روما للصلح وكانت تتضمن دفع مبلغ كبير من المال بالاضافة الى التخلى عن اسبانيا التى كانت تشكل مصدر قوة اقتصادية لها وكانت عونا لها فى حروبها السابقة وكان يمكن أن تكون عونا لها على مواجهة الحرب لمافيها من ارض خصبة ورجال كان يمكن ان يكونوا جنودا اشداء مثلما كانوا فى السابق اثناء الحرب البونية الثانية .

وشملت الشروط ايضا تنازل قرطاجة عن جزر البحر الابيض المتوسط والتخلى عن اسطولها الحربى [1] .

وحرص الرومان على أن يدرجوا ضمن بنود هذه المعاهدة بندين اخرين خطيرين اولهما يشترط فيه الرومان على قرطاجة ان لاتخوض اية حرب تقوم دون موافقة روما المسبقة اما البند الثانى فكان يشترط ان تعيد قرطاجة الى ملك نوميديا كل الممتلكات التى كانت فى حوزته وحوزة اسلافه [2] .

كانت نوميديا احدى الامارات المحلية فى شمال افريقيا وتكونت بعد نشوء قرطاجة وماحصرتها .

---

(1) M.C , Encyclopedia Britanice Vol 18, Item: Punic Ware Op.Cit P. 768.

(2) Merighi. A. ... , Op.Cit P.69.

أما الشرط الاول فيظهر جليا ان روما قصدت به وضع قرطاجة في موضع من يدافع عن نفسه بعد ان جردتها من اسطولها ومن مستعمراتها اما الشرط الاخير فكان بمثابة السم في الدسم ذلك لانه كان يحرض نوميديا على المطالبة بتوسع اقليمي على حساب ممتلكات قرطاجة دون امكان هذه الاخيرة من ان تدافع عن ارضيها لارتباطها بالتزامها بعدم خوض غمار حرب ـ ايه حرب ـ الا بموافقة روما بموجب البند الخاص بذلك والسابق ذكره .كما انه يمكنها من التدخل في شئون افريقيا متى شاءت .

ونتيجة لانتصار زاما كان من المفروض ان تضم روما كافة الاراضي التي كانت تابعة لقرطاجة في الداخل وعلى طول السواحل الافريقية الشمالية ولكنها احجمت عن ذلك اولا لانها كانت متخوفة من التورط في مشاكل افريقيا لا قبل لها بها لعدم خبرتها بشئون تلك البلاد ، ثانيا لانها كانت في الوقت نفسه ترغب في تكوين حليف امين لها في شخص ماسنسا ليقوم بمراقبة قرطاجة والحيلولة دون عودتها الى سابق سيطرتها لكي تأمن روما شرها المحتمل ولذلك عمدت الى ترك غنيمة معركة زاما لما سينسا نفسه تظاهرا منها بمكافأتها على مساندتها في حربها ضد قرطاجة كما عملت على تغذية شعوره واماني الهادفة الى تكوين دولة تشمل الساحل الشمالي لافريقيا[1] ونقل عاصمة المملكة النوميدية الى سرتا (قسطنطينة)الان الى مدينة قرطاجة وقد كان لهذا اوضح واخطر الاثر في تصرفات ماسيانسا حيال المدن الفينيقية في اقليم طرابلس كما سيأتي القول .

---

(1) Merighi A., Op.Cit.P68.

بعد ان حصلت نوميديا على الاراضى السابق ذكرها بدأت تتطلع الى اقليم طرابلس نفسه ولذلك تختلق الاعذار وتبحث عن سبب لاثارة النزاع بينها وبين قرطاجة .

وقد وقع فعلا التصادم بينهما فى مرحلتين اما فى المرحلة الاولى فكانت عندما احتل ماسينسا سهل الجفارة ولكنه لم يتمكن من ضم الاقليم برمته ، ذلك ان قرطاجة استطاعت الدفاع عن المدن الثلاث الرئيسية اويا صبراته ولبده ، فأغضب ذلك الاعتداء قرطاجة فلم يكن امام القرطاجيون الا رفع شكوى لروما وارسلت نوميديا بدورها الرسل الى روما دفاعا عن حقها المزعوم فى المراكز التجارية استمع السناتور للطرفين واقر ارسال لجنه ثلاثية برئاسة القائد الرومانى الشهير اسكيبيو Scipio الى افريقيا للفصل فى النزاع واخيرا وبعد مماطلة اقرت هذه اللجنة بضرورة تسليم قرطاجة للمدن الثلاثة ودفع تعويضا لها مما اثار قرطاجة مرة اخرى .

ولاحظت البعثة الثلاثية اثناء اقامتها بقرطاجة بدهشة ازدهارا اقتصاديا ملفتا اقلق السناتو الرومانى مما ادى بعد ذلك الى ارسال حملته الاخيرة التى قضت على قرطاجة نهائيا .

اما المرحلة الثانية فى هذا النزاع فقد بدأت عندما صدر قرار من اللجنة الرومانية بتسليم منطقة المراكز التجارية برمتها وعندما رفضت قرطاجة تنفيذ القرار واخذت مملكة نوميديا تتحرش بها لخلق اسباب الحرب وعلى اثر ذلك طلبت مملكة نوميديا من قرطاجة السماح لها بمطاردة احد الاشخاص الفارين ذكرته المراجع التاريخيه بأسم اغتر Athter او افتر Aphtir[1]

---

(1) Merighi. A. , Op.Cit.P.71.

وكان قدفر نحو منطقة المدن الخمس الاغريقية ولما رفضت قرطاجة السماح لجنود نوميديا بمطاردة هذا الفأر عبر اراضيها اتخذت نوميديا من ذلك ذريعة كانت تبحث عنها لشن الحرب على قرطاجة واحتلال اقليم المدن التجارية التى كانت ثرواتها تداعب اطماع ماسينسا وبذلك اضطرت قرطاجة الى حرب لم تكن مستعدة لها كانت النتيجة هى عزيمة قرطاجة بطبيعة الحال وبذلك خرقت قرطاجة ايضا شروط المعاهدة السابقة مع روما بدخولها الحرب بدون اذن مسبق منها فشرعت روما فى الاستعداد للحرب البونية الثالثة والتى قضت فيها على قرطاجة بشكل نهائى واصبح كل الشمال الافريقى جزءا من الدولة الرومانية بما فى ذلك مملكة نوميديا التى ازيلت عن الوجود بعد ازالة قرطاجة .

مدن اقليم طرابلس تحت الحكم النوميدى :

فى خلال فترة الحروب البونية مات ماسينسا فى عام ١٤٩ ق.م . قسم الرومان نوميديا بين ابنائه الثلاثة ولكن ابنه مقيبسا Micipsa اعاد توحيد الدولة وفى عهده تمتعت مدن اقليم طرابلس بالحرية ولكنها استمرت فى دفع الجزية نفسها التى كانت تدفعها الى قرطاجة وسمح لهما بالخروج من العزلة التى كانت قرطاجة تفرضها عليها فأزدادت علاقاتها التجارية مع العالم الخارجى وخاصة مع ايطاليا وخير دليل على ذلك هوماعثر عليه المنقبون من اثار تشير الى ان هذه المدن قد بدأت فى التوسع والامتداد بقدر لم يسبق لها مثيل فى العصر القرطاجى[(1)] واستمرت هذه المدن فى نظمها الفينيقية الداخلية التى كانت تتبعها ابان الحكم القرطاجى

---

(١) نصحى ، ابراهيم ، تاريخ الرومان ، المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

ويرجع سالوست التساهل الذى ابداه مقيبسا نحو هذه المدن الى بعد المسافة التى تفصل بين هذه المدن وبين (سرته) عاصمة نوميديا ولعلها كانت سياسة مقصودة تهدف على عدم اثارة القلاقل فى تلك المنطقة (١) .

وفى عام ١١٨ ق.م مات مقيبسا فأنقسمت مملكته بين ابنائه اذربعل وهيمبسال Hiempsal وابن اخيه يوغرطا والذى كان يتصف بالطموح فأستهل حكمة بأغتيال هيمبسال وطرد اذربعل الذى فر الى روما طالبا تدخلها لكن يوغرطا كان لديه مكانة أقوى من مكانه ابن عمه فلم يعره مجلس الشيوخ الرومانى اهتماما . وفى نهاية الامر قرر تقسيم المملكة النوميدية والتى كانت تشمل املاك قرطاجة السابقة بينهما ولكن عودة يوغرطا الى سياسته العدائية نحو ابناء عمه بالاضافة الى السياسة غير الودية التى اظهرها نحو الرومان عندما سمح لرجاله بقتل بعض الرومانيين خلال حروبه التوسعية ضد ابناء عمومته فى شمال افريقيا ادى به فى نهاية المطاف الى ضياع عرشه على يد القائد الرومانى ماريوس.

فى خلال قيام هذه الحروب ارسلت مدينه لبده مبعوثين الى روما لعقد معاهدة صداقة واستجاب الرومان لذلك وغالبا ان اويا وصبراته حذت حذو لبدة فى ذلك (٢) .

وفى عام ١٠٦ ق.م التمست لبدة من روما ارسال مجموعة من الجند الرومان لاحباط مؤامرة حاك خيوطها هاميكار (عبد ملقرط) وهو احد اعوان يوغرطا فأرسل الرومان اربع كتائب من المشاة (٣) وكان ذلك بداية التدخل الرومانى فى اقليم طرابلس الفينيقى .

---

(1) Haynes, D.EL., Op.Cit.P.P.32,33.
(2) Haynes, D.EL., Op.Cit.P.33.
(3) Idem.

وقبل منتصف القرن الاول ق م ناشدت لبده روما اقناع نوميديا بأرجاع الجزء المقتطع من اراضيها سابقة الذكر فأستجابت روما للطلب .

الاحوال الاجتماعيه والسياسيه لاقليم طرابلس في العصر الروماني :

افريقيا الرومانية : من غير المستطاع تحديد الاسباب التي حدت بروما نحو التوسع في افريقيا ولعل عدة عوامل سياسية واقتصادية قد دفعتها الى ذلك وربما امكن اعتبار السبب الاول هو رغبتها في ازالة الامبراطورية القرطاجية من الوجود خوفا من ان تعود الى سابق مجدها فتنافس روما في البحر المتوسط كما سبق ان ذكرت بالاضافة الى اطماع روما في خيرات افريقيا ومن المحتمل ان ضيق الاراضي الزراعية وزيادة السكان والسعي لاشباع رغبات روما المتزايدة من الحبوب والزيوت قد كان دافعا اساسيا لهذا التوسع(١) .

ولقد قسم الرومان افريقيا الى اربع ولايات ومنها افريقيا القنصلية الاصلية وتشمل الاقليم الغربي من ليبيا (اقليم طرابلس) بالاضافة الى مدينة قرطاجة القديمة وماحولها .

ولقد اختلفت الاراء حول مدى التوسع الروماني في المنطقة ويقدر عدد المستوطنين الرومان بمائتي الف بالاضافة الى أن ٤٠ ٪ في المائه من المتحدثين باللاتينية في العالم سكنوا افريقيا الشمالية (٢) .

ولايتسع لنا المجال في هذا الفصل للتحدث عن الاطوار السياسية المختلفة التي مرت بها منطقة طرابلس خلال القرون السبعة من الحكم الروماني

---

(١) جوليان ، شارل اندرى ، تاريخ افريقيا الشمالية ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦.

(٢) ودلى ، دونالد ٠ر٠ ، حضارة روما ، ترجمة جميل بواقيم الذهبي ، فاروق فريد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٢٢٦ .

ولكنى سأحاول التطرق الى الحكم الرومانى بشكل عام من الناحية الحضارية خلال القرون الثلاثة الاولى منه واستخراج بقايا التراث الحضارى الفينيقى الذى امتد حتى القرن الثالث الميلادى .

وكانت درجة انصباغ الاقليم بالصبغة الرومانية يحددها قرب أوبعد المدن التى انشأها الرومان فى الاقليم (1) .

بدأ الرومان احتلالهم للمنطقة بأنشاء مجموعة من المدن قدر عددها بخمسمائة مدينة ولكن لم يعرف على وجه اليقين عما اذا كانت حضارة المدن هذه قد انتقلت الى الرومان من العصر الفينيقى فعندما وصل الرومان الى الشمال الافريقى وجدوا امامهم حضارة متطورة وعلى ذلك فأن كثيرا من المدن الرومانية انشئت فى مواقع مدن فينيقية قديمة بل ان المدن الفينيقية القديمة نفسها قد تحولت الى مدن رومانية يبدو ذلك واضحا فى اقليم طرابلس لدرجة انه قد ضاعت معالمها الفينيقية تماما فى نهاية العصر الرومانى . ومن الجلى ان المدينة الفينيقية كانت تقوم فى موقع اقتصادى ملائم مثل قربها او بعدها عن ساحل البحر وعن طرق التجارة ومدى خصوبة الاراضى الزراعية التى تحيط بها .

اما المدينة الرومانية فقد اهتمت بالاضافة الى الاهمية الاقتصادية بأختيار اماكن محصنة يسهل الدفاع عنها فى وقت الحروب.

---

(1) Mahjoubi, A, General History Of Africa," The Roman And Post Roman Period In Notthe Africa, No 19 II, Printed By Ricard Clay Itd, Bungay, Suffolk, First Published, Unesco, California, 1981 p. 476

في خلال الفترة الاولى من الحكم الرومانى لافريقيا كانت سياسة الرومان عدم التدخل في الشئون الداخلية للمدن ولعلها كانت تهدف الى استخدام اقل عدد ممكن من العاملين الرومان في الوقت الذى تكون فيه هذه المدن متمشية مع السياسة العامة للامبراطورية الرومانية .

وكان نائب القنصل الرومانى يعتمد على الاجهزة المحلية لتسيير الاعمال اليومية الاعتيادية لهذه المدن وبذلك بقيت الاجهزة الحكومية القديمة التى ترجع الى العصر الفينيقى .

ولقد احتفظت مدينة لبدة بدستورها الفينيقى خلال الحكم الرومانى ولعل نفس الحال ينطبق على اويا وصبراته وان كان يعوزنا الدليل القاطع على ذلك (١) .

وبالرغم من المراحل المختلفة التى مر بها الحكم الرومانى فأن الطابع الاساسى للدساتير والاجهزة المحلية ظلت تحمل الصبغة الفينيقية وروحها الاصلية وخلال القرن الاول الميلادى حدث بعض التعديل فى دستور مدينة لبدة (٢) ولكن ذلك لم يغير من جوهره .

بقى بعد ذلك الحديث عن هيئة قضائية يظن انها قد وجدت فى مدينة لبدة ولعلها وجدت فى أويا وصبراته ايضا ولكن الحديث عن هذه الهيئة يشوبه كثير من الغموض والشك ومازال مثار جدل بين من تناول دراسة هذا الموضوع مثل فيفريه Fevrier وفنتر Fantar (٣)

---

(1) Haynes , D.E.L, Op.Cit, P.29.

(٢) باقر ، طه ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(3) Vita, A. , Gli Emporia Di Tripolitania Dall'a Di Massinssa A Dioclezion: Un Profilo Storico Istituzionale, Editor Walter De Gruyler, Berlin-Newyork. 1982, P.542.

نوجز ماذكره هؤلاء الباحثون من انه قد وجدت في مدينة لبدء هيئة قضائية في العصر الروماني ولكن دون ان نجزم بأنها وجدت في العصر الفينيقي وتتألف هذه الهيئة من ثلاثة اعضاء عرف اثنان منهم بأسم الشوفيت وعرف ثالثهم بأسم "رب" كما جاء في بعض النقوش الفينيقية التي وجدت في مناطق مختلفة من افريقيا الفينيقية الرومانية ويفهم ايضا من هذه النقوش ان العضو الثالث الملقب باسم "رب" وهو رئيس هذه الهيئة الثلاثية وأن مدة حكمه كانت سنة واحدة [1] ومن المحتمل ان هذا "الرب" يعادل في عمله الكوستر quaester اى قاضي من الدرجة الثانية [٢] .

ومن غير المعروف عما اذا كان اعضاء هذه الهيئة اى الشوفيت هم نفس الشوفيت الذين ورد ذكرهم في دستور لبدء السابق ذكره ومع ذلك يرجح انهم نفس الشوفيت لتعدد اختصاصاتهم ومن المرجح ايضا ان هذه الهيئة قد وجدت قبل العصر الروماني كمايدل على ذلك اسم "رب" وهو اسم فينيقي كما يظهر وتظهر فيه الصبغة السامية ومن المستبعد ان يكون عمله قد استحدث في العصر الروماني .

ويجوز ان وظيفة الرب قد وجدت في العصر الفينيقي ولكن على شكل وظيفة متواضعة ذات اختصاصات محدودة واصابها التطور حتى وصلت الى ماوصلت اليه في العصر الروماني .

---

(1) Idem
(2) Liv. 2,37, XXXVIII.

الوظائـــف العامــــه :

وظيفة المحازيــم هي وظيفة جابي الضرائب ومراقبــة الاسواق كماسبـــق أن ذكرت في الفصـــل الخـــاص بالحيــاة الاقتصادية ولقــد عرفت هذه الوظيفة بمـــا وجــد من نقــوش فينيقيــة دونت في العصر الرومانـــي وليس من الثابــت ان هذه الوظيفــة قد وجــدت في العصر الفينيقـــي ولكن يمكـــن التصور انها قد وجـــدت منذ العصـــر الفينيقـــي نظـــرا لما تميزت بــه هذه المدن من نشـــاط اقتصادي كان عمودهـــا الفقـــري ان جـــاز التعبـــير ويفهـــم مما ذكره انتنيودي فيتا في كتابـــه السابـــق الذكـــر ان عدد المحازيـــم كان اثنين [1] وليـــس واحـــدا وان الاســـم تغـــير فـــي العصـــر الروماني فأصبـــح اديليس (Aediles) وهـــــو المحازيـــم الفينيقيي بالاضافـــة الى قاضـــي اخر ادنى درجـــة وهـــو الكيستـــــور (Questores) الذي سبـــق ذكـــره [2] وهو مايقابل الـــرب رئيـــس الهيئـــة القضائيـــة وعلى كـــل حال يبـــدو ان الامر به شـــيء من التداخل الـــــذي يصعـــب تفسيره نظـــرا لتغـــير اختصاصـــات الوظائف من عصـــر الى عصر ومـــن حاكـــم الى آخـــر ونظـــرا لقلـــة المعلومـــات المتوفـــرة لدينا بل وتضاربها ايضا .

فوظيفـــة المحازيـــم وظيفـــة اقتصاديـــة تتعلق بأمور المال ولكننـــا لانعـــرف اختصاصاتهـــا بشكـــل دقيـــق ويرجح وجودهـــا في العصـــر الفينيقـــي بغـــض النظـــر عن كونهـــا تتكون من شخـــص واحـــد او شخصين نظـــرا لان التجـــــارة والمـــال اســـاس حيـــاة هذه المـــدة في العصـــر الفينيقـــي كما سبق ان ذكـــرت .

---

(1) Vite A. , Op.Cit. P.544.
(2) Haynes D.El., Op.Cit. P.43.

ومن المحتمل ان هذه الوظيفة قد تغيرت في اختصاصها في العصر الروماني نفسه من وظيفة اقتصاديه الى وظيفة ادارية وهي ادارة وصيانه مباني الالعاب في المدينة مثل المسرح والملعب المدرج [١] .

بقي بعد ذلك ان نتحدث عن وظيفة اخرى شابها كثير من الغموض وعدم معرفة اختصاصها على وجه اليقين للاسباب التي سبق ذكرها وهي تغير اختصاص الوظيفة الواحدة حسب تغير العصور وهذه الوظيفة بالذات يكتنفها الغموض اكثر من سابقاتها نظرا لتداخل الجانب السياسي مع الجانب الديني فيها مما يجعل الدارس يتردد في تصنيفها .

تشير دراسات دى فيتا [٢] الى وجود وظيفة دينية بدأت منذ عصر اغسطس الى عصر الوندال عرفت بأسم فلامن (Flamen) أى الذباح وكانت اختصاصاتها الاساسية هي تقديم الاضحيات في المناسبات الدينية وكانت تنقسم الى نوعين فلامن سنوى اى مدة ولاية سنة واحدة وكان يشغل الدرجة السفلى في سلم الكهانة ويبدو ان عددهم كان قليلا في مدن طرابلس كمانفهم من دراسة دى فيتا بينما شغل الدرجة العليا من هذه الكهانة فلامن مدة ولايته سنة واحدة ايضا ويبدو انه كان من الممكن ان يمنح الفلامن الذى تنتهي مدة ولايته لقب فلامن دائم وكان هذا اللقب يمهد الطريق امام من يناله لتمثيل المدينة في مجلس الولايات الافريقي الديني الذى يقوم بتأكيد الولاء للامبراطور وتمثيل الولاية من الناحية الدينية ويفهم ايضا من الدراسة السابقة ان مدن اقليم طرابلس كانت تعج بالفلامين الدائمين الذين كان منصبهم يمهد لهم الطريق للوصول الى منصب حاكم المدينه (السوفيت) .

(١) اندشيه ، احمد ، المرجع السابق ، ص٥٨ .

(1) Vita. A.... , Op.Cit. P.568.

وتشير نفس الدراسة السابقة ان هذه الوظيفة وظيفة رومانية تخص الديانة الوثنية وانها وجدت في روما هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تجد ان الفينيقيين في طرابلس قد اطلقوا على هذه الوظيفة اسم " زوبيح " ويظهر من الاسم السامي الفينيقي قربها من كلمة الذباح العربية مما يؤكد انها وظيفة دينية ولكن هل وجدت هذه الوظيفة في العصر الفينيقي ؟ لاشك ان الاجابة على هذا السؤال متعسرة ولكن هناك احتمال ان الوظيفة قد وجدت في العصر الفينيقي شأنها شأن الوظائف الاخرى التي سبق ذكرها مثل الشوفيت والمحازيم ولكنها كانت ذات اختصاصات دينية محدودة لاتتعدى تقديم القرابين في الاعياد الدينية او في احسن الحالات الاشراف على تقديمها ثم استمر وجودها في العصر الروماني ولكن تغير اختصاصها واصبحت وظيفة دينية سياسية ذات نفوذ كبير.

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى قد تكون الوظيفة مستحدثة في العصر الروماني ولها اسم لاتيني يرادفه عند الفينيقيين اسم سامي هو " زوبيح " وهو احتمال اقوى من اعتقادى من الرأى السالف طرحه نظرا لوجود هذه الوظيفة في روما نفسها مما يدل على انها لم تستحدث في مدن افريقيا بشكل عام ومدن اقليم طرابلس بشكل خاص اى انها جزء من الديانة الرومانية والوثنية قد فيتا [1] يذكر ان الفلامين في روما كان من مهامهم الاشراف على معابدها وعلى عبادة الاباطرة وهي الديانة الرسمية للدولة الرومانية .

---

(1) Idem

اما بالنسبة للاجهزة المحلية والبلدية التى كان معمولا بها فى العصر الفينيقى فأنها استمرت فى العصر الرومانى بنفس الاختصاصات والاسماء القديمة وكلما تقدم الزمن على الحكم الرومانى نجد ان الرومان اخذوا يعمدون الى صبغ المناصب بالصبغة الرومانية وذلك عن طريق استعمال الاسماء الرومانية .

ففى خلال الفترة الاولى من الحكم الرومانى وجد فى مدن اقليم طرابلس مجلس بلدى يقوم مقام مجلس الشيوخ وحاكمان بلديان يقومان مقام القنصل ينتخبان لمدة عام ويجلسان على كرسى من العاج ويحملان اللقب الفينيقى القديم " سوفيت " اى القاضى وهو المنصب الذى وجد فى الفترة الفينيقية كما اسلفت وكانا يلبسان حلة بيضاء ذات حاشية من ارجوان يحرسهما جنديان يحملان حزمة من الاعواد بدون فاس[1] .

وبعد ان حصلت المدن الثلاث على الجنسية الرومانية سارت النظم الفينيقية القديمة نحو الاصطباغ بالصبغة الرومانية الكاملة فتغير[2] اسم السوفيت اى القاضيان فأطلق عليهم اسم ديوفيرى (Duoviri) وهو لقب معادل للقب " القنصل " .

ومن غير المعروف كيف تطورت الاجهزة البلدية بعد ذلك خلال العصر الرومانى ذلك لان المعلومات المتاحة للمؤرخين غير قاطعة ولاتسمح ببيان واضح عنها على انه يمكن القول بصورة عامة انها لم تبق على ماكانت عليه ايام كانت المدن فينيقية خالصة .

---

(١) جوليان ، شارل اندريه ، تاريخ افريقيا الشماليه ، المرجع السابق ، ص٢٠٢.

(2) Haynes, D.El., Op.Cit. P.43.

الخاتمـــــة

منذ حوالى ١٢٠٠ ق٠م بدأ الفينيقيون يتخذوا صفتهم المميزة عن الكنعانيين وبهذا الاسم عرفهم الاغريق الذين تعاملوا معهم تجاريا ٠

كان الفينيقيون أحد الشعوب السامية التى هاجرت من جملة من هاجر من جزيرة العرب كما يشير الى ذلك الكتاب الكلاسيكيون ٠

أتخذ الفينيقيون من سواحل بلاد الشام الغربية وطن لهم فى المنطقة التى نعرفها اليوم باسم لبنان تقريبا وكونوا مجموعة من المدن المنيعه والتى وجدت الظروف المواتيه للتجارة البحرية مثل توفر الاخشاب لصناعة السفن ٠

ولم يتمكن الفينيقيون من ممارسة التجارة البرية فقد سبقهم فى هذا المجال الارمنيون والاشوريون وبذلك لم يبق امامهم من سبيل الا التجارة البحرية التى برعوا فيها ومما زاد فى اندفاعهم نحوها ضيق سبل العيش وزيادة عدد السكان في سواحل بلاد الشام ٠

ومنذ حوالي القرن العاشر قبل الميلاد اخذت جماعات منهم ترتاد الناحية الغربية من البحر الابيض المتوسط تجار لا غزاه فاتحين كانوا ينقلون السلع من انتاج بلادهم فينيقيا الى المنطقة ويعرضونها للبيع ويشترون مقابلها مواد خام يرجعون بها الى موطنهم ويصنعونها ويعودون بها لبيعها ه كانوا ملاحين ماهرين ورواد شجعان يجمعون بين الجرأة وملكه تجارية نادرة وكانت المنطقة آمنة تسكنها شعوب مختلفة خليط من الساميين والحاميين جاء اجدادهم فى فجر التاريخ احتمالا واستوطنوا شمال آفريقيا ٠

فى هذا الجو الملائم طور الفنيقيون الوافدون تجارتهم ووسعوا مجالاتها ورسخوا اقدامهم مدى قرنين تقريبا واصبح لهم مراكز تجارية صغيرة تطورت على مدى الزمن واصبحت مدن مستقله مثل قرطاجبه التى شيدت

ق.م ٣٠٠

فى عام ٨١٤ والتى تعتبر اكبر هذه المدن وتلى ذلك انشاء مجموعة كبيرة من المدن الفينيقية على الساحل الشمالى لافريقيا وكانت مدن أقليم طرابلس ضمن هذه المدن .

وكان لقرطاجة تأثيرها الكبير على مدن أقليم طرابلس ففى حوالى القرن الخامس مدت قرطاجة نفوذها واستولت على هذه المدن وقبضت عليها بيد حديدية وفرضت عليها العزلة الاقتصادية والسياسية وسخرت اقتصاد تلك المدن لخدمة اقتصادها وازدهارها التجارى وعندما خاضت قرطاجة حروبها مع أغريق صقليه كان لتلك الحروب نتائجها الغير مباشرة على مدن طرابلس ومنها زيادة قبضت القرطاجيون على اقليم طرابلس عندما اتجهت نحو التوسع فى أرضى شمال افريقيا والتوسع فى استغلال ثروته الزراعيه وعندما جاءت الحروب البونية وانتقل الصراع من الاغريق الى الرومان كانت لتلك الحروب نتائجها السياسية والاقتصاديه على مدن اقليم طرابلس ايضا ونذكر من ذلك تعرض هذه المدن لهجمات الاسطول الرومانى واستغلال قرطاجة لموارد تلك المدن فى حروبها مع روما .

وبذلك يظهر لنا ارتباط قرطاجة بمدن أقليم طرابلس .

واذا تعرضنا للاشكال السياسيه لهذه المدن سنجدها لاتختلف عما ساد النظم السياسية فى بلاد فينيقيا الا فى بعض التفاصيل الصغيرة اما اذا تعرضنا الى الناحية الاقتصادية فسنجد ان الحياة الاقتصادية فيها اعتمدت على مواردها الداخليه فى المرحلة الاولى وهى التجارية ثم اعتمدت على العنصر المحلى وهو الزراعه .

وبعد هذا العرض الموجز لحياة هذه المدن نستطيع ان نستخلص مايلى

كانت هذه المدن تعتمد على التجارة بالدرجة الاولى اما الصناعة والزراعة فا حتلت فيها المرتبة الثانية ولقد ساهم الليبيون مساهمة فعالة في الانشطة الاقتصادية وخاصة تجارة القوافل والزراعة ويظهر لنا جليا سرعة اندماج العنصرين العنصر الوافد والعنصر المحلي .

ومرجع ذلك هو الاصل الواحد بطبيعة الحال ولايذكر لنا التاريخ ان صراعا او حربا قد وقعت بين الطرفين وهو مالم يحدث مع الرومان بعد ذلك .

أما من الناحية الدينية فيظهر لنا ايضا تقارب الالهه المحلية مع آلهه الفينيقيين القادمين الذين وجدوا التشابه الكبير بين آلهتهم وبين آلهه السكان المحليين فدمجوا بين الاثنين وعبدوها بنفس أسماءها المحلية مثل تانيت . ولعلها تعود الى اصول واحدة قديمة تعود الى وحدة الاصل الذى جمع بين الطرفين .

وكذلك اللغة التي ترجع الى أصول واحدة فالسامية والحامية فرعان من شجرة واحدة ، فتأثرت كلا منهم بالاخرى . ومن الناحية الجنسية كان الفينيقيون قليلي العدد فغلبت الملامح المحلية ملامح القادمين الجدد وهكذا يظهر لنا شدة وقوة التمازج بين الطرفين المحلي والوافد وهو أمر لم يحدث عندما جاء الرومان بعد ذلك وعندما جاء العرب ناشرين الاسلام فسرعان ماوجدوا الاستجابة والقبول من ابناء عمومتهم من الطرفين الفينيقيون القدماء والليبيون .

بقي بعد ذلك ان اشير الى انتقال كثير من مظاهر الحضارة الفينيقية الى العصر الروماني فكثير من الوظائف العامة انتقلت من العصر الفينيقي الى العصر الروماني مثل وظيفة السوحازيم وهي وظيفة جابي الضرائب والتي يرجح انها كانت

موجودة فى العصر الفينيقى ووظيفة " الزوج " اقترنت فيها السياسة بالدين هذا بالاضافة الى وظيفة الشفيت السياسيه والتى انتقلت بعد ذلك الى العصر الرومانى بنفس الاسم ولكنها تحولت الى وظيفة ادارية محلية ذات اختصاصات محدودة تحت حكم الرومان ٠

وعندما جاء العرب فاتحين كان التمازج بين الوافدين والسكان الاصليين قد تم واصبحوا يكونون شعبا واحدا له خصائص واحدة سرعان ماتقبل الاسلام واللغة العربية وبذلك يكون قد عاد الى جذوره الاولى التى انحدر منها ٠

اسماء المراجع العربية

(١) ابوحامد ، محمود الصديق ، النمس ، محمود عبدالعزيز ، مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي ، طباعة انتربنت امانه التعليم ، مصلحة الاثار ، ليبيا ، ١٩٧٨م.

(٢) البستاني ، عبدالله ، فاكهة البستان ، الطبعة الاولى ، الناشر مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٣٠م.

(٣) الشامي ، صلاح الدين ، والصقار ، فؤاد محمد ، جغرافية الوطن العربي الكبير ، مطبعة م.ب، الناشر دار المعارف، الاسكندرية ١٩٧٠م.

(٤) الشرقاوى ، محمد عبدالمنعم ، والصياد ، محمد محمود ، ملامح المغرب العربي ، الطبعة الاولى ، الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٥٩.

(٥) الكتاب المقدس ، سفر الملوك ، دار المشرق ، بيروت ١٩٨٦م.

(٦) الكعاك ، عثمان ، البربر، مطبعة الترقى ، الطبعة الاولى ، الناشر كتاب البعث.

(٧) الموسوعة العربية ليرة ، باشراف محمد شفيق غربال ، الناشر دار العلم مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦٥م مادة نتبريوس. تونس ١٩٥٦م.

(٨) الناضورى ، رشيد (تاريخ المغرب الكبير) العصور القديمة ، الجزء الاول دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٨١م.

(٩) النمس ، محمود عبدالعزيز ، دليل منطقة حفائر جنزور الاثرية ، مطبعة انتربنت ليمتد ، مصلحة الاثار ، طرابلس ليبيا.

(١٠) النمس ، محمود عبد العزيز ، وابوحامد ، محمود الصديق ، دليل متحف الاثار بالسراى الحمراء ، انجاز الدار العربية للكتاب ، مصلحة الاثار ، طرابلس ١٩٧٧م٠

(١١) اندشيه ، أحمد محمد محمد ، تاريخ اقليم طرابلس السياسي والاقتصادى في العصر الروماني في ٢٧ق٠م الى ٣٠٥م ، رسالة ماجيستيرلم تنشر ١٩٨٩م٠

(١٢) الاثرم ، رجب عبد الحميد ، تاريخ برقه السياسي والاقتصادى في القرن السابع ق٠م وحتى بداية العصر الروماني ، الطبعة الثانيه ، الناشر المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ، بنغازى ، ليبيا ، ١٩٧٥م٠

(١٣) الاثرم ، رجب رجب عبد الحميد ، الحضارة الفينيقية في المغرب العربي ، محاضرات القيت على طلبه قسم التاريخ ، ١٩٨٧م٠

(١٤) الاثرم ، رجب عبد الحميد ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، الطبعة الاولى الناشر دار اماني للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٨٩م٠

(١٥) ايمار ، اندريه ، تاريخ الحضارات العام ، ترجمة يوسف اسعد ، داغروفيقه مطابع اوفست كونروغرافير ، الطبعة الثانيه ، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٨١م٠

أ) الشرق واليونان القديم (المجلد الاول)

ب) روما وامبراطوريتها (المجلد الثاني)

(١٦) ايوب ، محمد سليمان ، جرمه في تاريخ الحضارة الليبية ، الطبعة الاولى الناشر دار الطباعه والنشر ، طرابلس ، ١٩٦٩م٠

(١٧) باقر ، طه لبده الكبرى ، الادارة العامه للاثار ليبيا٠

(١٨) بشور ، وديع ، الميثولوجيا السورية ، اساطير ارام ، الطبعة الاولى مؤسسة فكر للابحاث والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م٠

(١٩) تاريخ العالم ، ترجمة ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٠

أ) برايس ،ف٠ن ، القرطاجيون وامبراطوريتهم البحرية ٠

ب) ب ٠ ميرـ ح ٠ل ٠ الاتروريون والقرطاجيون٠

(٢٠) توينبي ، ارنولد ، تاريخ البشرية ، ترجمة نقولا زيادة ، الجزء الاول الناشر الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨١م٠

(٢١) جود اتشايلد رج ، قورينا وابوليا (دليل تاريخي) ترجمة الادارة العامه للاثار ، ترجم عن الطبعة الثانية من الاصل الانجليزي ، الناشر ادارة البحوث الاثرية ، ليبيا ، ١٩٧٠م٠

(٢٢) جوليان ، شارل اندري ، تاريخ افريقيا ، ترجمة طلعت اباضة وعبد المنعم ماجد ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٦م٠

(٢٣) جوليان ، شارل اندري ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ترجمة محمد امزالي والبشير سلامة ، الجزء الاول ، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٦٩م٠

(٢٤) حتي ، فليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج وعبد الكريم رافق ، الجزء الاول ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨م٠

(٢٥) حسن ، سليم ، مصر القديمة ، الجزء الاول ، مطبعة كوثر ، القاهرة ١٩٤٠م٠

(٢٦) دانيلز ، تشارلس ، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء ، ترجمة احمد اليازوري ، الطبعة الاولى ، الناشر دار الفرجاني ، طرابلس ليبيا ، ١٩٧٤م .

(٢٧) ديورنت ، ول ، قصة الحضارة ، الجزء الثاني من المجلد الاول ، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، الطبعة الثانية ، الناشر ، الادارة الثقافية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٦م .

(٢٨) رزقانة ، ابراهيم ، واخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، دار مصر للطباعة ، الناشر مكتبة مصر ، القاهرة .

(٢٩) زرقانة ، ابراهيم ابراهيم احمد ، جغرافية الوطن العربي " ليبيا " مطبعة لجنة البيان العربي ، الناشر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٤م .

(٣٠) رستوفتز ، م ، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ترجمة ومراجعة زكي وعلي ومحمد سليم سالم ، الجزء الاول ، مطبعة مصر طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

(٣١) روسي ، اتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م ترجمة خليفة محمد التليسي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٤م .

(٣٢) سوسه ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة السادسة العربي للطباعة والنشر ، دمشق .

(٣٣) شتريتر ، كارل هـ ، الصحراء الكبرى ، الرسوم الصخرية كمصدر تاريخي ، ترجمة عماد الدين غانم ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات المترجمة ، طرابلس ١٩٧٩م .

(٣٤) صفر ، احمد ، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، والجزء الاول ، مطبعة العمل ، الناشر بوسلامة ، تونس ، ١٩٥٩م .

(٣٥) عبدالعليم ، مصطفى ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ،المطبعة الاهلية الناشر الجامعة الليبية ، بنغازى ، ١٩٦٦م.

(٣٦) عبدالوهاب يحى ، لطفى ، العرب في العصور القديمة ، الطبعة الثانية ، الناشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٧٩.

(٣٧) عرب ، ضى ، صور ، المطبعة الكاثوليكية ، الناشر دار المشرق بيروت١٩٨٦م.

(٣٨) عصفور ، محمد ابوالمحاسن ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م.

(٣٩) على جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، مكتبة النهضة ، بيروت ، ١٩٧٦م.

(٤٠) عيسى ، محمد على ، مدينه صبراته ، طباعه انتربرنت ، الناشر الاداره العامه للبحوث الاثرية والمحفوظات التاريخيه ١٩٨٧م.

(٤١) فوانيه ،أ.ف. ماضي شمال افريقيا ، ترجمة هاشم الحسيني الطبعة الاولى الناشر الفرجاني ، طرابلس ١٩٧٠م.

(٤٢) غلاب ، محمد السيد ، الساحل الفينيقي وظهيره ، الطبعة الاولى دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩م.

(٤٣) فريحة ، انيس ، ملاحم واساطير في اوغاريت ، مؤسسة خليفة للطباعة ، الطبعة الثانية دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م.

(٤٤) قنطر ، محمد ، يوغرطه ، المطبعه الرسمية للجمهورية التونسية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٠م.

(٤٥) كاوير ، هـ .س ، مرتفع الاهات الجمال ، ترجمة أنيس زكى حسن ، الناشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا .

(٤٦) كونتنو ، جورج ، الحضارة الفينيقية ، ترجمة د . محمد عبدالهادى شعيرة ومراجعة د . طه حسين ، الناشر شركة كتب الشرق الاوسط القاهرة .

(٤٧) كون ، كارلتون ، القافلة ، ترجمة برهان دجانى ، مراجعة ، احسان عباس مطابع كريم ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥١م .

(٤٨) لزوورث ، م . ب تشارلز ، الامبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزى عبده جرجس ملزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، ١٩٦١م .

(٤٩) مصروعه ، جورج ، "هنيبعل" الجزء الثانى ، مطابع سيمازه دار المكشوف ، بيروت .

(٥٠) موسكاتى ، ستينو " الحضارات السامية القديمة " ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربى للطباعه والنشر ، القاهرة .

(٥١) ميخائيل ، نجيب ، مصر والشرق الادنى القديم ، سوريا ، الجزء الثالث ، مطبعه الشاعر ، الطبعه الخامسه ، الناشر دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ .

(٥٢) نصحى ابراهيم ، تاريخ الرومان ، الجزء الاول بمنشورات الجامعة الليبية ، كلية الاداب ، بنغازى ، ١٩٧١م .

(٥٣) نصحى ، ابراهيم ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى مطبعة جامعة القاهرة الطبعة الرابعة ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

(٥٤) ود ، دونالد " حضارة روما " ترجمة جميل بواتم الذهبى ، وفاروق فريد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

(٥٥) ويلارد جيمس " الصحراء الكبرى " الطبعة الاولى مكتبة الفرجانى طرابلس ليبيا ، ١٩٧٦م .

المراجع الاجنبيـــة :

(1) Bates, Orice, The Eastern Libyans, Macmilland. Co. Limited., Martins Street, London, 1914.

(2) Bovill, E.W., The Golden Trade Of The Moors, Oxford University Press, London, 1958.

(3) Coster, C.H., The Economic Position Of Cyrenaica In Classical Ages In Studies In Roman Economic And Social History In Honor Of Alan, Chester Johnsen, Glace, 1951.

(4) Encyclopedia Britancia, 1958 Edition William Bentom Publiser, London, 1958.

 (A) Albert, Cooks George, Vol.17, Item Phoenica.

 (B) Babeloon, J.E. An J.BA, Vol 4, Item Carthage Constition And Religion.

 (C) Godfrey, Rolles Driver, Vol.20 Item Semitic Langages.

 (D) M.C.Vol.18 Item: Punic Wars.

 (E) مجهـول المؤلـــف ,Vol i, Item Agathocles.

(5) General History Of Africa, Vol.2, Printed By Ricard Clay Itd., Bungay Suffolk, First Published, Unesco, California, 1981.

(A) Desanges J,The Pret-Berbers, No 17.

(B) Warmington B.H., The Carthaginian Period, No.18.

(C) Mahjoubi A, The Roman And Post Roman Period In North Africa, No 19.

(6) Gilbert Et Colette C.P., Daicy Life In Carthage, Translated From The Frence By A.G. Foster, Ruskin House Georgeallen And Unwin Ltd, First Published, London, 1968.

(7) Histoire Gaelis, Ancienne De Lafrigue.

(8) Kewyon Kathllen, Archaeology Of The Holy Land, London 1972.

(9) Haynes Del, Antiguities Of Tripolitania The Trinty Press, Published By The Antiquites Department Of Libya, 1959.

(10) Libya In History, Historical Conference 16-23 March 1968, Universty Of Libya Faculty Of Arts.

(A) Perkins J.B. Ward, Pre-Roman Elements In The Architecture Of Roman Tripolitania.

(B) Romanelli Pietro, La Tripolitania Nel Quadro Dell, Archeologia Nord Africana.

(C) Thompson L.A., Roman And Native In The Tripolitanian Cities In The Early Empire.

(D) Vita A.D., "The Mausolea Of Sabrata".

(11) Merighi Antonio, La Tripolitania Antica Vol 1, A.Aireldi Editore, Verbenia, 1940.

(12) Mommsen Theodor, The Provinces Of The Roman Empire Translated By William, Dickson D.D., Lid, Vol2, Ares Publishers Inc., Chicago.

(13) Races, Alien, A History Of The Colonization Of Africa, Cooper Aquare Publishers, Inc, 1966.

(14) Rawlinson, MAS, George, Phoenicia, T. Fisher Unwin, London.

(15) Thrige J.P., Res Cyrensum Translated From Latin Into Italian By Silivio Ferri, A.Airoldi, Italy, 1940.

(16) Vita, Antonio, Gli Emporia Di Tripolitania Dall'a Dimassinssa A Diocleziano: Un Profilo Storico Istituzionale, Editor Walter De Gruyter, newyork, 1982.

(17) Warmingtin, B.H., Garthage, Apelican Biok, 1964.

المصادر الكلاسيكية

عن مجموعة

The Loeb Classical Library (L.C.L)

Harvard University Press, William Heinemann ltd, London.

1. Dioders Of Sicily Trans By Russel M. Geer.
2. Heredotus, Trans. By A.D.Godley.
3. Justin, Trogue, Pompee . Book
4. Livy Trans By D. Foster.
5. Pliny Natural History Trans. By E.Cabbs.
6. Polbius Trans By W.R.Waton.
7. Salluste. The War With Jugurtha Trans. By J.C.Rolfe.
8. Silius Italicus, Punica, Trans. By J.D.Dufe.
9. Strabon, The Geography Trans. By H.L. Jones.